الرسالة ٢٢٢

ديانة شهداء نجران
قراءة جديدة للمصادر الأولية

أ. د. عائشة سعيد أبو الجدايل
قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة الملك سعود
الرياض - المملكة العربية السعودية

حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية - الحولية الخامسة والعشرون - ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

المؤلف:

أ. د. عائشة سعيد أبو الجدايل

- دكتوراه الفلسفة في التاريخ البيزنطي – جامعة الملك سعود – الرياض – المملكة العربية السعودية عام ١٩٩٣م.
- أستاذ في قسم التاريخ – كلية الآداب – جامعة الملك سعود – الرياض.
- عضو الجمعية التاريخية البيزنطية برمنجهام – بريطانيا.

الإنتاج العلمي:

أولاً – الكتب:

١ – نشر رسالة الدكتوراه في كتاب بعنوان الإمبراطورية البيزنطية في القرن السابع الميلادي – الأول الهجري، دراسة في التطورات والتغيرات، ط١، المفردات للنشر والتوزيع والدراسات (الرياض ١٤١٥هـ).

٢ – دراسة تحليلية لنتائج الغزوات الجرمانية على إيطاليا منذ سنة ٣٩٥م إلى منتصف القرن السادس الميلادي.

٣ – الإمبراطورية البيزنطية في القرن السابع الميلادي/الأول الهجري، دراسة في التطورات والتغيرات.

ثانياً – الأبحاث:

١ – معركة ذات الصواري. رؤية جديدة. مجلة العصور، المجلد العاشر، الجزء الأول ٥٥ – ٦٥ (١٩٩٥م).

٢ – فتح المسلمين دمشق. قراءة جديدة للروايات التاريخية الإسلامية، مجلة الدارة، العدد الأول محرم ١٤١٧هـ.

٣ – أثر المذاهب الدينية في نجاح وسقوط الممالك الجرمانية في الغرب الأوروبي بين عامي ٤١٢ – ٨٠٠م. مجلة جامعة الملك سعود، الآداب، المجلد العاشر، العدد الأول ١٤١٨هـ.

٤ – الإقطاع في الإمبراطورية البيزنطية بين الفرضية والواقع، مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، مقبول للنشر.

٥ – القلزم مفتاح الطريق إلى الهند منذ القرن الرابع وحتى القرن الثامن الميلادي – دراسة تحليلية منشور في: Sailing Ships of the Mediterranean Sea and Arabian Gulf, Vol 11 Navigation in the Red Sea, the Arabian Gulf and the Indian Ocean, Athens 2000.

٦ – مسيرة عمل المرأة في المملكة العربية السعودية. نظرة تاريخية. نشر في أبحاث مؤتمر دور المرأة السياسي والحضاري عبر العصور. مركز البحوث والدراسات التاريخية، القاهرة ٢٠٠٢م.

٧ – تطوير الأستاذ الجامعي – نموذج أستاذ التاريخ. دراسة فلسفية تربوية. نشر ضمن أبحاث الندوة العلمية لجمعية التاريخ والآثار لدول مجلس التعاون، الكويت ٢٠٠٢م.

٨ – المرأة والسلطة في العصور الوسطى. حوليات مركز البحوث والدراسات التاريخية، الحولية الأولى، الرسالة الثانية، محرم ١٤٢٣هـ.

٩ – واقع الأديرة الشرقية وإسهاماتها العلمية والعملية في الدولة البيزنطية – مجلة عين شمس مركز الدراسات البردية والنقوش. العدد التاسع عشر، القاهرة ٢٠٠٢م.

١٠– قوانين جريجنتيوس أو القوانين الحميرية – دراسة الائتلاف والاختلاف بينها وبين الشريعة الإسلامية – مجلة العصور – المجلد الثالث عشر – الجزء الثاني – يوليو ٢٠٠٣م.

المحتوى

الملخص

تميز اليمن في الربع الأول من القرن السادس الميلادي بأنه كان مسرحاً للصراع العالمي، وأحداث من أبرزها (مذبحة شهداء نجران)؛ هذه الأحداث التي اختلط فيها الدين بالسياسة، والمصالح الاقتصادية، والدعاية الدينية، والتي كان ظاهرها الصراع بين الديانتين اليهودية، والمسيحية.

والمعروف أن الصراع الذي دار في نجران كان صراعاً بين الملك الحميري اليهودي ذي نواس، وبين رموز الديانة المسيحية في اليمن بصفة عامة، وبين أهالي نجران بصفة خاصة. وتجاهلت الدراسات التي تحدثت عن هذا الصراع الديانات الأخرى التي كانت موجودة في اليمن في ذلك الوقت.

والهدف الرئيس من هذا البحث هو التركيز على قضية شهداء نجران، والتحقق من ديانتهم في ضوء المعطيات المستخلصة من المصادر الأولية.

ديانة شهداء نجران
قراءة جديدة للمصادر الأولية

تميز اليمن في الربع الأول من القرن السادس الميلادي بأنه كان مسرحاً للصراع العالمي، وأحداث من أبرزها (مذبحة شهداء نجران)؛ هذه الأحداث اختلط في تفسيرها الدين بالسياسة، والمصالح الاقتصادية، والدعاية الدينية، والتي كان ظاهرها الصراع بين الديانتين اليهودية، والمسيحية.

والمعروف أن الصراع الذي دار في اليمن كان صراعاً بين الملك اليهودي ذي نواس، وبين رموز المسيحية في اليمن بصفة عامة، وبين أهالي مدينة نجران بصفة خاصة.

والهدف الرئيس من هذا البحث هو التركيز على قضية شهداء نجران، والتحقق من ديانة جميع الشهداء التي تجاهلتها الدراسات التي تحدثت عن هذا الصراع، ومعرفة الأسباب التي كانت وراء التعتيم على الديانات الأخرى التي كانت سائدة في جنوب الجزيرة العربية جنباً إلى جنب مع كل من الديانتين المسيحية، واليهودية.

وسوف نستعرض الأسباب التي أدت إلى هذا الصراع، وهل كانت فعلاً أسباباً دينية بحتة؟ أم كان وراء الأكمة ما وراءها من أمور سياسية واقتصادية لبست مسوح الدين؛ لتتخذه ستاراً تغطي به أهدافها الحقيقية.

إن مفهوماً واحداً هو السائد عن سكان نجران بأنهم نصارى (مسيحيون)؛ لأن قضية شهداء نجران طرحت من جانب واحد؛ هو الجانب المسيحي الذي تبنى القضية، ورفع الشعارات التي أطلقها الأساقفة المسيحيون الذين استطاعوا تحويل الأنظار إلى المسيحية فقط، والدعوة إلى الأخذ بثأر من استشهد منهم، ونصرة من بقي منهم على قيد الحياة، وكان من نتيجة تلك الدعوة الغزو الحبشي لليمن الذي

ألبسته المصادر الدينية المسيحية ثوب المنقذ للمسيحية. وإن الحملة التي قام بها هذا المنقذ لاحقاً على مكة المكرمة تفضح أهدافه الاقتصادية والسياسية، الأمر الذي جعل الباحثين المحدثين يقولون: إن فهم الموضوع يكمن في فهم العلاقة التجارية بين بيزنطة والحبشة من جهة؛ واليمن والفرس من جهة أخرى[١] وإن الفحص الدقيق لكل المصادر التي لها علاقة بالموضوع تساعدنا ليس على فهم الأحداث التي حدثت خلال الفترة موضوع البحث فحسب، ولكن أيضاً على فهم البواعث المحركة للأمور، والواقعة في الخلف؛ فقد انهمك التجار البيزنطيون في نشاط تجاري بحري في كلّ من البحر المتوسط، والبحر الأحمر، والمحيط الهندي. وكان ذلك في القرن السادس الذي اعتبر العصر الذهبي بالنسبة للبحرية البيزنطية. وفي الوقت نفسه تمتع كل من الحبشة، واليمن بمستوى عالٍ من الازدهار الاقتصادي الذي ارتكز على كونهما مركزين تجاريين مباشرين لتوزيع السلع التجارية إلى كل من إفريقيا والشرق الأقصى Enterpot Trade[٢]. وقد شجعت بيزنطة – من خلال وساطة بطريرك الإسكندرية – التجار المشتغلين في التجارة العالمية البحرية على الوصول إلى الأسواق البعيدة في الشرق الأقصى؛ عن طريق مساعدة الأحباش المسيحيين وأهالي اليمن[٣].

وهذا القول تؤكده كتابات «بروكبيوس» الذي يقول: «إن بيزنطة حاولت أن تخلق جبهة عامة مع الأحباش، وأهل اليمن ضد الفرس تحت اسم العقيدة المشتركة بينهما، وتحت اسم المصالح التجارية العامة»[٤] هذا فضلاً عن أن حماية الديانة المسيحية كانت هدفاً من أهداف السياسة الخارجية للدولة البيزنطية[٥].

والسؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح شديد: هل حدثت (مذبحة نجران) بسبب المصالح الاقتصادية، والصراع السياسي؟ أو أن الأمر كان لا يتعدى كونه صراعاً دينياً بحتاً؟ وبكلمات أخرى: هل المصالح التجارية هي السبب المباشر الذي دفع الحبشة للدخول إلى اليمن؟ أو كانت النقطة البؤرية للأحداث هي الدين من حيث حماية المسيحيين من الاضطهاد الديني، والانتقام لهم؟ أو هل كان جميع سكان اليمن من المسيحيين، أو حتى الغالبية العظمى منهم كانوا مسيحيين؛ لذا وجب إنقاذهم؟

والإجابة عن هذه الأسئلة تحتم التأكد من ديانة سكان اليمن في الربع الأول من القرن السادس، أو معرفتها على الأقل.

وقد اتفق اثنان من الباحثين على أن العرب كانوا على دين التوحيد. ويرى الباحث الأول(٦) أن العرب كانوا على دين واحد هو دين «إبراهيم عليه السلام»؛ دين الحنيفية؛ دين التوحيد. وقد ضل العرب الطريق، وعموا عن الحق، وعبدوا الأصنام التي حببها إليهم الشيطان على يد ناشر عبادة الأصنام في جزيرة العرب؛ «عمرو بن لحي». أما الباحث الآخر فيرى أن العرب موحدون بطبيعتهم، وأن ديانتهم الأساس هي من ديانات التوحيد؛ وذلك استناداً إلى دراسة مقارنة للهجات السامية التي خرج منها بأن الآلهة التي عبدها الساميون هي (إل) (إيل). واللهجات السامية حرفت الاسم، وأبعدته عن الأصل، ولكن يرجع الاسم وأصل العبادات كلها إلى إله واحد هو الإله (إل) (إيل)(٧).

وكشفت النقوش(٨) اليمنية خلال القرنين الرابع والخامس الميلاديين هذا الاتجاه؛ حيث اختفى من تلك النقوش ذكر الآلهة الوثنية، وحلت محلها ديانة التوحيد التي تسمي الإله الواحد (الرحمن)(٩).

والنقوش تمثل مصدراً متفرداً لتاريخ العرب قبل الإسلام. وقد اعتنت بها مدرسة متكاملة من علماء النقوش، على رأسهم البروفسور ريكمانز G. Rychmans، وتلميذته المؤرخة عالمة النقوش «جاكلين بيرين» Jaqueline Pierene، و«فان دي برادين» Van des Braden وغيرهم(١٠) والنقش Ry 534 عبارة عن نصب تذكاري أقامه ثلاثة أشخاص وردت أسماؤهم فيه. وهي تشهد بوحدانية الله. وقد نصب ذلك النقش تكريماً (لرب السماء والأرض) (ر ح م ن ن) الرحمن. وكان ذلك وفاء بنذر كانوا قد قطعوه على أنفسهم إذا أنقد الله سيدهم (ل و ف ى/ء م ر ء هـ م، وأبا كرب أسعد، وولديه حسان، وشرحبيل يعفر). وتاريخ هذا النقش يعود إلى سنة ٥٤٣ حميريه الموافق ٤٢٨م(١١).

وينفي الباحث «بيستون» Beeston الفكرة المسيطرة التي تقول إن الرحمانية

كانت عقيدة يهودية؛ وذلك في الفترة ما بين القرنين الرابع والخامس الميلاديين. وينكر وجود نقشين، أو ثلاثة، يهودية استعملت لفظ (الرحمن) للإشارة إلى الله بشكل واضح. ويوجد تغاير قوي في استعمالاتهم للجمل اليهودية. ومن النصوص الكثيرة للرحمانية وجد أنه من الصعب القبول بأن هذه النصوص يهودية، وأن عدد النصوص اليهودية قليل جداً مقارناً بنصوص التوحيد، وهي حوالي 1/10 من عدد النقوش المعروفة بالنقوش الرحمانية(١٢).

وقد حصرت النقوش التي ورد فيها مصطلح (رب اليهود) في النقش Ry 515 والنقش Ja 1028(١٣)؛ وهما ينسبان إلى الفترة الزمنية نفسها. وترجمة النقش Ja 1028: (فليبارك رب السماوات، والأرض الملك يوسف آسار ملك كل الشعوب (م ل ك ك ل ش ع ب ن) وليبارك الأقيال).

وأهم ما في هذا النقش أن السطرين الأخيرين فيه يحويان مصطلحات دينية يهودية، وهي (رب اليهود) (ر ب هـ د) (تحت حماية السماء)، و(الرحمن غالب لكل كذاب كفور) (باسم الرحمن) (باسم المحمود) (ب م حم د) التي يمكن قراءتها باسم محمد أو محمود.

كما وردت مصطلحات التوحيد أيضاً في النقشين Ry 507 وRy 508، وهي (رب السماء والأرض) (الله الذي في السماء) (ع ل هـ ن ل هـ و س م ي ن و ء ر ض ن)(١٤) والنقش RY 508 ورد فيه التوجه إلى الرحمن بطلب الرحمة. والنقش RY 513 الفترة نفسها للنقش Ry 508 ويرد فيهما ذكر الرحمن ورحمته (ر ح م)(١٥).

وقد استعملت المصطلحات المشار إليها أعلاه في الصلاة بصوت عال لدى كلّ من اليهود، وغيرهم من النصارى، والموحدين (الأحناف)، وأخيراً المسلمين(١٦).

والميل إلى التوحيد كان هو التيار السائد في عالم البحر الأبيض المتوسط.. وميول مثل هذه كانت واضحة، ومنظورة في منطقة Palmyra (تدمر)؛ حيث وجد الاسم ذاته (الرحمن) مستخدماً على وجهين: الأول لقب إلهي Divine epithet، والثاني إشارة خاصة إلى الآلهة. والنصوص التي توجد فيها هذه الإشارات ليست

يهودية، ولا مسيحية. واستعمالاتها في تدمر Palmyra هي المصدر المحتمل للرحمانية الحميرية[١٧].

إن الجسم الرئيس للرحمانية قبل القرن السادس كان التوحيد Monothiest، لا اليهودية، والمسيحية؛ ولكنه ما يطلق عليه المسلمون الحنيفية، أو الحنفاء. وقد عبر «هاملتون جب» عن تلك الفكرة بأن هناك حنفاء في الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام بقرون، وأن البراهين النقشية التي أشرنا إليها آنفاً تدعم هذه الفكرة[١٨].

وإذا مشينا على طريق النقوش الجنوبية لتقصي وجود الديانة المسيحية في اليمن؛ فإن النقوش السبئية لا توجد فيها أي إشارة إلى وجود الديانة المسيحية قبل القرن السادس الميلادي[١٩]؛ أما المصادر التي يمكن الاستناد إليها فهي المصادر الأدبية البيزنطية، وعلى رأسها كتابات المؤرخ البيزنطي Philostorgius[٢٠] من مطلع القرن الخامس الميلادي، الذي يذكر أن الإمبراطور «قنسطانطيوس الثاني» (٣٦٠ – ٣٧٣) Constantious II أرسل سفراء إلى الحاكم الحميري، وذلك في عام ٢٤٥. وكان على رأس تلك السفارة «تيوفيلوس» Theophilus، وهو هندي نشأ في جزيرة ديبوس Dibos التي ربما تكون جزيرة سومطرة.

وقد أسست هذه البعثة كنيسة في عدن كانت سوقاً لكبار التجار من اليونان والرومان؛ ومعنى هذا أن هؤلاء التجار كانوا يقصدون إلى عدن في رحلات منتظمة. وكانت لهم جالية في عدن بلغت من الحجم حداً احتاجت فيه إلى كنيسة خاصة.

أما رواية «فيلوستورجيوس» Philostorgius فتذكر أن السفراء حملوا معهم هدايا، وبعض الأموال؛ لإنفاقها في بناء الكنائس، وأن الملك الحميري قبل الفكرة، وبنى الكنائس على حسابه الخاص، وليس من المال الإمبراطوري. ولم يبن كنيسة واحدة بل بنى ثلاث كنائس؛ واحدة في العاصمة الحميرية ظفار، وواحدة في عدن، وثالثة على الساحل الشرقي، وأن كلاً من الإمبراطور «قنسطانطيوس»، و«فيلوستورجيوس» كانا على المذهب الأريوسي؛ لذلك فإن نتيجة تلك السفارة

هي دخول المسيحية إلى تلك المنطقة على المذهب الأريوسي؛ كما أن موقع الكنائس الثلاث يدل على أنها بنيت؛ لخدمة الزوار البيزنطيين أكثر من خدمة السكان المحليين(٢١).

ويرى «بيستون» Beeston أن القول بدخول المسيحية، والتبشير بها حتى منتصف القرن الرابع الميلادي؛ إما خطأ، أو فيه كثير من التفاؤل. ويشير إلى مخطوطين؛ أحدهما مكتوب باللغة اليونانية، والثاني بلغة الجعز (الحبشية). وهما يتحدثان عن الملك عيزنه Ezanna. والنص اليوناني فيه توسل بالثالوث، أما النص المكتوب بلغة الجعز فإنه يتوسل بالرحيم. والاستدلال بهذين النصين هو للفت الانتباه إلى النص المكتوب باللغة اليونانية، وهدفه مخاطبة العالم الناطق باليونانية، وأنها لا تمثل اعتناقاً حقيقياً للديانة المسيحية. والكنائس التي يقال إنها بنيت فيما بعد في المراكز الحميرية في كلّ من ظفار، وعدن، وعلى طول الساحل الشرقي؛ بنيت من أجل التجار البيزنطيين، لا من أجل السكان الحميريين؛ فلا يوجد ذكر لكنائس في المناطق المركزية الحميرية في القرن السادس(٢٢).

أما المصدر الثاني فهو حوليه «سيرت» Seert(٢٣)، وبالاستناد إلى هذا المصدر فإن دخول المسيحية إلى اليمن كان في مطلع القرن الخامس عن طريق نجراني اعتنق المسيحية في أثناء زيارته للحيرة. ومن خلال الذين اعتنقوا المسيحية في نجران انتشرت المسيحية بين جيرانهم من الحميريين. ولم يذكر أيّ شيء عن اعتناق الحاكم للمسيحية. والانطباع عن انتشار المسيحية بين النجرانيين بصفة خاصة والحميريين بصفة عامة في تلك الفترة؛ بقي في أضيق الحدود بين الأقلية، وليس بين أكثرية السكان(٢٤).

وكتاب الحميريين يشير إلى «حبسة» Habsa التي وقفت فخورة أمام الملك «يوسف ذي نواس» بأن جدها «حيان» هو أول من أدخل المسيحية إلى نجران(٢٥). وتوجد وثيقة مجهولة المؤلف مكتوبة بلغة الجعز (حبشية): «تقول إن المسيحية دخلت إلى نجران عن طريق شخص يدعى «أزكير» Azqir الذي قتل على يد ملك حميري اسمه – في تلك الوثيقة – Sarabhal Dankef. وربما يكون هذا الاسم تحريفاً لاسم الملك

«شرحبيل يانكا» Shurahbil Yanka، وهو الذي حكم بعد منتصف القرن الخامس بقليل؛ إذ إنه ظهر في نقش مؤرخ في سنة ٥٨٢م حميرية – الموافق ٤٦٧ – ٤٧٢م[٢٦].

وتجمع المصادر العربية الإسلامية على أن دخول المسيحية إلى اليمن كان عن طريق نجران حيث تذكر بالنص: (إن موقع ذلك الدين بنجران)[٢٧]. وتتفق المصادر الإسلامية مرة أخرى على أن «فيميون» Phemion أو «عبدالله بن تامر» هو الذي أدخل المسيحية إلى نجران. وتذكر المعجزات التي أتى بها؛ ومنها معجزة التنين الذي لم يجرؤ على مهاجمته، وهو في صلاته. ومعجزة شفاء المرضى.... إلخ.

والمتأمل في هذه الأمور يجد أن المصادر الإسلامية اعتمدت ونقلت عن الأساطير المسيحية المنوطة بمعجزات الرهبان[٢٨]، وهي رواية «ابن إسحق» نقلاً عن «وهب بن منية» الذي أخذ كثيراً من آرائه عن اليهودية، والنصرانية[٢٩].

والنقد الموجه إلى المصادر الإسلامية أنها لا تحتوي أيّ إشارة إلى تقسيم زمني، من حيث إنها لا تحدد الزمن الذي دخلت فيه المسيحية إلى نجران[٣٠] هذا من جهة، ومن جهة أخرى نجد الرواية تخلط بين العقيدة المسيحية، والعقيدة الإسلامية؛ حيث ينقل عن لسان «عبدالله بن تامر» قوله: (إلهي وهو الله وحده لا شريك له)، ثم الإشارة إلى أنه (تطهر، وصلّى ركعتين). والتوحيد الذي أشارت إليه الرواية، وأجرته على لسان «عبدالله بن تامر» ليس مسيحياً؛ حيث إن المسيحية آمنت بالثالوث خصوصاً في القرنين الرابع والخامس. كما أن الصلاة التي تعد بالركعات هي صلاة إسلامية لا مسيحية.

وبالعودة إلى النقوش، وخصوصاً نقوش القرن الخامس الميلادي؛ يوجد نقش من وادي (حابان) من «ينبك» Yanbuk، وهذا النقش لا توجد به أيّ كلمات مسيحية، ولم يظهر الصليب في نهايته؛ مما يدل على عدم وجود ديانة مسيحية في منطقة حابان في تلك الفترة[٣١] وبالنسبة لانتشار المسيحية قبل عهد الملك يوسف مباشرة، في القرن السادس الميلادي، فإن هناك عدداً من النقوش الصخرية في منطقة Yanbuk (ينبك) و(وادي حابان) في بداية القرن السادس. وأحد تلك النقوش يحتوي صليباً في نهايته.

وسواء أكان ذلك الشيء يشير إلى انتشار المسيحية، أما لا فإن المسيحية قد تأسست في نجران في تلك الفترة. وقد ذكرت المصادر الأخرى وجود المسيحية في كل من نجران، وحضرموت[٣٢]. والحوار الذي أجراه الأسقف جريجنتيوس، أسقف ظفار، مع اليهودي يشير إلى دخول المسيحية إلى اليمن متأخرة. والأمر ذاته منطبق على حولية «سارد» Saard التي تشير إلى عدد من «المنوفيزيين» الذين نفاهم الإمبراطور «حستينان» (٥٢٧ – ٥٦٥م) وهم الذين هربوا إلى الحيرة، ومن هناك إلى نجران؛ حيث قاموا بعمل دعاية لمذهبهم، ولعقيدتهم. والأمر نفسه يطبق على أسطورة Azqir[٣٣].

وخلاصة الأمر أن هناك روايات ترجح دخول المسيحية إلى اليمن من نهاية القرن الرابع، ومطلع القرن الخامس، والأخرى تؤخر ذلك إلى القرن السادس. أما الروايات الإسلامية، أو ما يطلق عليه اسم أسطورة المسلمين، فلم تحدد تاريخاً، ولا تضيف أي قيمة تاريخية للموضوع. ولكن الأهم لدينا هو مدى انتشار الديانة المسيحية في جنوب الجزيرة العربية. وقد تكررت الإشارة لدينا إلى أن الكنائس بنيت في جنوب الجزيرة لخدمة التجّار البيزنطيين، واليونان، وليس لخدمة السكان المحليين، وأن انتشار المسيحية بصفة عامة بقي في أضيق الحدود بين الأقلية من السكان.

ويوضح «عرفان شهيد» أهداف بيزنطة من التدخل في شؤون جنوب الجزيرة الذي توقف مع الفتح، يعني الفتح الحبشي لليمن، وأن المهمة الحضارية تأتي بعد ذلك، ويتم تفعيلها من خلال تنصير المنطقة المحتلة[٣٤]؛ ويعني هذا وبشكل واضح أنه – وإلى هذا الوقت؛ وقت الحرب الحبشية في جنوب الجزيرة التي تمت مطلع القرن السادس الميلادي – لم يكن هناك تنصير تام للمنطقة، وأن الهدف الثاني بعد احتلال المنطقة. هو تنصيرها.

ويقرر «بيستون» Beeston أن النصارى كانوا أقل عدداً من أتباع الديانات الأخرى؛ وهي الوثنية، وديانة التوحيد (الحنيفية). والنصارى بدورهم كانوا أكثر عدداً من اليهود؛ حيث إن اليهودية لم تنتشر إلا بين مجموعة صغيرة من الشعب في اليمن[٣٥].

وقبل استعراض المصادر الأولية، والتحقق من مدى مصداق ما ورد فيها من حقائق تاريخية خصوصاً في منطقة نجران؛ علينا أن نلم بالوقائع التي نحن بصدد دراستها، وبشكل موجز.

وخلاصة أحداث مذبحة نجران أن عرش اليمن جلس عليه ممثل عشيرة ذي يزن، ويقال إنه كان حفيداً للملك أبي كرب أسعد، وإن والدته كانت يهودية أصلها من نصيبين، وإن اسمه ورد في المصادر السريانية، والأخبار العربية (يوسف ومسروق)، (ذا نواس)، وكان ذلك في عام ٥١٧م[٣٦].

وما إن اعتلى (يوسف ذو نواس) عرش اليمن حتى توترت العلاقات بينه، وبين النصارى، سواء من رعاياه، أم من الأجانب. وقد تعرض التجار البيزنطيون، والغساسنة، والأحباش للنهب، والفتك، وتروي المصادر السريانية واليونانية في عبارات متقاربة مصارع التجار البيزنطيين، ونهبهم على يد ملك حمير اليهودي؛ مما ألحق أذى بالمصالح التجارية الحبشية، وغيرها من الدول؛ وكان هذا في حد ذاته يعكس العداء تجاه بيزنطة، والحبشة، والدول النصرانية العربية. وقد تعرضت الحبشة بالذات إلى خسائر اقتصادية فادحة لأن (ذا نواس) عطل تجارة (عدول) ومكوسها؛ ونتيجة لذلك فقد سارع نصارى الجنوب العربي بطلب العون من الحبشة؛ إذ سافر (توما) أسقف نجران، إلى أثيوبيا راجياً من الأحباش التدخل ضد (ذي نواس) الذي وعد بالتدخل؛ لشد أزر النصارى من السكان المحليين. وتحرك ملك الحبشة، فما كادت تبدأ الرياح الموسمية الملائمة، من مايو إلى يونيو ٥١٧م؛ حتى عبر الأحباش البحر، ونزلوا إلى الساحل الغربي لليمن بناحية مخوان (المخا). ولم تكن سيطرة (ذي نواس) قد توطدت بقدر كاف يسمح له بإبداء مقاومة جادة؛ فهرب إلى الجبال بعد أن أفلت من الجند الأحباش، واختبأ لدى أحد تجار الحيرة. كما أن القائد الحبشي لم يهتم بتنصيب ملك جديد على الحميريين؛ والسبب في ذلك يعود إلى أن (يوسف) كان لا يزال في عداد الأحياء، وأنه ملك طريد[٣٧].

واغتنم الأحباش الرياح الموسمية، وأعادوا قسماً من جنودهم إلى الحبشة

تاركين في ظفار وحدةً يتراوح عدد أفرادها ما بين خمسمئة إلى ستمئة من المقاتلين، وكان ذلك في شتاء ٥١٧م. وحينئذ انتهز (يوسف ذونواس) الفرصة، واستغل الوضع الذي تحول إلى مصلحته؛ كي يسترد العاصمة، والمناطق التي ثارت ضد الأحباش(٣٨). وفي هذه المرة ظهر حقد (ذي نواس) على النصارى. وتروي المصادر حصاره للعاصمة، وحرق الناس أحياء بالبيعة (الكنيسة) حينما كانوا يقيمون الصلاة(٣٩).

والمصادر التي سوف نعتمدها هنا هي: أولاً – النقوش؛ إذ يذكر النقش Ry 508: (عندما استعاد الملك يوسف عرشه تقاتلوا مع الأحباش بظفار (ع ل ى ح ب ش ن ب ظ ف ر) وأحرقوا البيعة (د هـ ر و ق ل س ن).

والكلام نفسه يكرره النقش Ry 507 (عندما أحرقوا البيعة (د هـ ر و ق ل س ن)، وقتلوا الأحباش بظفار (و هـ ر ج و ح ب ش ن ب ظ ف ر).

وكذلك النقش Ja 1028 الذي يذكر أنهم ذهبوا متكاتفين يداً بيد مع ملكهم (يوسف أعسر ياتار). وعندما انتزعوا (القلسن) الكنسية، وقتلوا الأحباش في ظفار. هزموا المحاربين في أشعران، وركبان، وفرسان، ومخوان. كما تغلبوا على الفرق الحربية من نجران. وقاموا بتقوية الكثبان الرملية في (مأدبان)، قام بتجميع رجاله، واستطاع أن ينظمهم في قواته، وقام بما يلزم. وأخذ غنائم في حملته متمثلة في حوال ١٢٥٠ غنيمة، و١١٠٠٠ أسير و٢٩٠ ألف جمل وبقر وغنم. وقد كتب هذا النقش الحاكم (شرحبيل) بقبول من قبيلة يزن عندما حارب النجرانيين.

وهكذا فإن النقوش الثلاثة تشير إلى حملة (يوسف) و(شرحبيل بقبول) على المناطق الساحلية، وهي (مخوان) و(أشعران) و(فرسان) و(ركبان) (وفي مختلف النقوش يرد ذكر هذه الأماكن مرة واحدة، ولكن (مخوان) و(أشعران) تردان في النقوش الثلاثة معاً)(٤٠).

ونجد أن (مخوان) هي ميناء المخا، و(أشعران) هي منطة قبيلة الأشاعرة، وأكثر النقوش تفصيلاً عن (مخوان) هو النقش Ry 508 الذي يذكر أن الملك

(يوسف) انحدر إلى (أشعران)، وكان على رأس جيش، وتقاتل مع مخوان، وقتل جميع أهلها (ك ل هـ و ر هـ و)، وأحرق البيعة (و د هـ ر ق ل س ن)، وتقاتل مع جميع حصون شمر، وسهلها، وتوجه الملك إلى (أشعران)، وكان عدد القتلى ١٣٠٠٠ قتيل، وقد وقع في يد الملك ٩٥٠٠ أسير و٢٩٠٥٠٠ من الإبل والبقر والأغنام[٤١].

والنقوش تتحدث عن قتال، أو حملات حربية قام بها الملك (يوسف) على العاصمة، وعلى المدن الساحلية وعلى نجران، وذكرت حرق الكنائس، ولكنها لم تذكر على وجه التحديد مجزرة نجران.

ويلي النقوش السبئية في الأهمية الرسالة، أو الرسائل التي كتبها (شمعون الأرشمي) وذلك بالنسبة لقضية شهداء نجران، وتلك الرسائل يعتبرها (عرفان شهيد) المصدر الأول، بل من أهم المصادر الأولية لقضية شهداء نجران، ويضعها في مرتبة تفوق مخطوط شهداء نجران، أو المسمى مخطوط استشهاد الحارث. وينص (عرفان شهيد) على أن رسالة أسقف أرشام تعتبر مصدراً أولياً كتب بعد حدوث الأحداث مباشرة، وأن هذه الوثيقة لها أهمية خاصة من حيث إظهار البصمة الشخصية للمؤلف[٤٢].

لقد عملت الدوائر المسيحية (النصرانية) في المشرق، وعلى رأسها الأساقفة الذين اجتمعوا بالحيرة[٤٣] على إثارة دعاية عنيفة ضد (ذي نواس) فدبج الأسقف (شمعون الأرشمي) ثلاث رسائل عن أحداث حمير؛ مجّد فيها الشهداء النجرانيين. والرسالة الأولى يرجع تاريخها إلى سنة ٥١٨م وهي مفقودة. ويرجع تاريخ الرسالة الثانية إلى أواخر فبراير سنة ٥١٩م. أما الرسالة الثالثة فدونت في شهر يوليو عام ٥١٩. وأما أهم الشخصيات التي وجه إليها (شمعون) رسائله فهم: شمعون أسقف حيره (الجبول، جبتيا) عاصمة إمارة الغساسنة، والثاني بطريرك أنطاكية، والثالث أسقف (الحبشة) أوبروبيوس، والرابع الملك كالب، ملك الحبشة. ولقد كان شمعون الأرشمي داعية متحمساً لجمع كلمة المونوفيزين، وكان يجيد إجادة تامة عدداً من اللغات السامية، فضلاً عن اللغة الهندوأوروبية. ولقد كشف عن طاقة نادرة، ومقدرة

أدبية في دعايته الموجهة ضد ملك الحميريين، ولصالح ملك الحبشة. ويبدو أن (شمعون) كان يود بطريقته هذه جمع كلمة نصارى البحر الأحمر؛ وذلك بوضع حمير ويهودها بين فكي كماشة. وقد تنبه الباحث P. Devos ب (ديفو) إلى أن (شمعون) كرر النداء إلى ملك الحبشة ثلاث مرات في الرسالة الثانية؛ ليحمله على التدخل في اليمن؛ من أجل المنوفيزيين إخوته في الدين الذين اضطهدهم الروم، والفرس، وهزأ بهم العرب اللخميون(٤٤).

وقد برهن (عرفان شهيد)(٤٥) أن شمعون الأرشمي وليس سرجيس الرصافي، كما افترض A. Moberg(٤٦)؛ هو مؤلف كتايب الحميريين الذي يمجد شهداء نجران، والأكسوميين الذين حرروا بلاد العرب، وانتقموا لآلاف الضحايا والأبرياء.

هذا بالإضافة إلى الرسالة التي كتبها يعقوب السروجي (ت ٥٢١م) أحد رجال الدين السريان، والذي كتب رسالته إلى النجرانيين، ونظم يوحنا بسلطوس، رئيس ديرقنسرين، نشيداً كنسياً في شهداء نجران، كما كتبت رسائل وأشعار باللغتين السريانية واليونانية في كلٍّ من أرض الجزيرة ومصر.

إن الدعاية ضد ذي نواس قد انبعثت من كلّ من سوريا وفلسطين والعراق وآسيا الصغرى والقسطنطينية وطيسفون. وقد أعلن أنّ القتلى شهداء قديسون. ويمكن اعتبار كلّ ما ذكر بالإضافة إلى كتاب الحميريين، ومخطوط استشهاد الحارث إشارة إلى ظهور أدب عن الشهداء النجرانيين.

ولقد تعاون أيضاً كلّ من القس (إبرام) الذي كان دبلوماسياً بيزنطياً، ووالده سفير بيزنطة إلى العرب، وابنه السفير (ننوس) وأسقف الرصافة سرجيس في إثارة الرأي العام على (ذي نواس). ولقد أثمرت جهودهم من حيث إن ملك حمير وجد نفسه وحيداً، ولم يلق العون لا من الفرس، ولا من اللخميين ولا من الجاليات اليهودية بالإمبراطوريتين البيزنطية، والساسانية(٤٧).

وبذلك نخلص إلى أن **المصدر الأول لمذبحة نجران هو عمل دعائي نصراني** بالدرجة الأولى تبعه كثير من الأعمال الدعائية؛ لإثارة الرأي العام ضد الملك ذي

نواس، وأن العمل الدعائي – كما لا يخفى – يحمل الكثير من المبالغات لإيصال صوته عالياً مدوياً.

والمصدر الثاني هو مخطوط استشهاد الحارث الذي يعتبره الباحثون المحدثون ذا أهمية تاريخية، ومصداقية في وصف مذبحة نجران(٤٨).

والمخطوط معنون باللغة اليونانية بالعنوان التالي «تعذيب القديس الحارث وجماعته في المدينة السوداء». ويشير البروفسور خرستيدس إلى أن مؤلف (استشهاد الحارث يوناني، وأنه بحار. ويستند إلى عدد من البراهين؛ أولاها: إتقانه للغة اليونانية، وثانيها من خلال التفاصيل الحقيقية الدقيقة للمغامرة البحرية التي قام بها الملك الحبشي الإصباح(٤٩) ضد الملك الحميري «ذي نواس». ويعتبر (خرستيدس) أنه بحار راهب مثل Cosmas(٥٠). ويبدو ذلك واضحاً من خلال المصطلحات البحرية التي استخدمها بطلاقة ودقة. والقراءة المتأملة والمتأنية للمقاطع التي تصف الإصباح والمغامرة البحرية التي قام بها لا تدل على أن المؤلف لم يكن عالماً بالبحار، بل كان خبيراً من الدرجة الأولى. أما أسلوب كتابة (استشهاد الحارث) فهو عبارة عن أسلوب Bombastic يحتفل بانتصار النصرانية الأرثوذكسية. وربما يعود السبب في ذلك إلى أن المؤلف نفسه كان أرثوذكسياً، أو أن النساخ الذين نسخوا المخطوط هم الأرثوذكس، وهم الذين أضافوا عنصر الأرثوذكسية. ويجب أن نضع في الاعتبار أن هناك تغييراً يحدث للنص بمرور الوقت. ويؤكد الباحثون أن المسيحية التي وجدت في اليمن لابد من أن تكون مونوفيزية. وفي مخطوط استشهاد الحارث نفسه يذكر أن بطريرك الإسكندرية عيّن أسقفاً في اليمن بعد هزيمة ذي نواس مباشرة، لذلك لا يوجد شك في أن أسقفاً أرسل من الإسكندرية إلى اليمن. وذكر يوحنا الأفسوسي John Bishop of Ephesus أن الأسقف الذي ذهب إلى اليمن مات بعد فترة قصيرة(٥١).

إن الباحث A Moberg محقق كتاب الحميريين ومترجمه من السريانية إلى الإنجليزية؛ يؤكد اعتماد كاتب استشهاد الحارث على كتاب الحميريين. كما أن

استشهاد الحارث تؤكده براهين Cosmas والمصادر الأخرى المتعلقة بالتجارة في البحر الأحمر، والمحيط الهندي في القرن السادس من حيث القول بوجود منافسة بين كل من البيزنطيين، والفرس، والأحباش، وأهل اليمن في القرن السادس(٥٢).

ومن جهة أخرى يؤكد مخطوط استشهاد الحارث أن العلاقة بين الشمال والجنوب كانت علاقة منافسة، وأن تفكير الحارث في الاستقلال بمنطقة نجران هو السبب في فكرة الهجوم على نجران؛ أكثر من فكرة الدين، وهو الشيء الذي يمكن قراءته بين السطور في استشهاد الحارث كما أشرنا إلى ذلك أعلاه. إن المعلومات التي أوردها المؤلف عن النشاط السياسي، والدبلوماسي؛ والتي تطابق وجوده في كلّ من رسائل شمعون الأرشمي، وكتاب الحميريين. وينقل البروفسون خرستيدس عن كل من ريكمانس Ryckmans وMoberg اللذين قالا: إن النسخة اليونانية من استشهاد الحارث، هي اختصار لكتاب الحميريين السرياني(٥٣).

وقد تحدث المخطوط عن الضريبة التي تعود سكان نجران دفعها لملك حمير، وهي ضريبة مفروضة على كل رجل وامرأة، كبير وصغير، فلاح أو عامل. وهي ضريبة تدفع بمقدار (الكاس) واحد Elkas وذكر ذلك عند ذكر حصار نجران(٥٤). وقبل أن يفتحوا له بوابات المدينة.

وعندما دخل الملك المدينة كان بين المستقبلين رؤساء المدينة. وكان الحارث من بينهم. وتقدموا إلى المدخل للترحيب بالملك. وبعد دخوله أمر أولاً وقبل كل شيء بمصادرة ممتلكاتهم، وطلب أن يحضروا بولس Paulus الأسقف، ولكنهم أخبروه بموته منذ عامين، ولم يصدقهم، وأمر بحفر قبره، وإخراج عظامه وحرقها، وبعثرة رمادها في الهواء.

وفي اليوم التالي أمر جيشه بجمع كثير من الأخشاب؛ لإشعال نار عظيمة يمكن رؤيتها على بعد مسافات كبيرة، ثم أمرهم أن يقيدوا ويرموا فيها كل القساوسة والشمامسة، وباقي كل من كان يعمل في كنائس المدينة، والمنطقة المحيطة بها؛ فضلاً عن الرهبان، والنساء المنشدات. وكان عددهم حوالي أربعمئة وسبعة وعشرين شخصاً(٥٥)، وبعد ذلك أمر أن يقيد الحارث العظيم، ثم الرؤساء الذين كانوا برفقته، وكذلك نبلاء

المدينة بقيود من حديد، ثم أورد نقاشاً بين الملك والحارث ورفاقه، لإقناعهم بترك دينهم. ومن الكلام الذي وضع على ألسنة الحارث وزملائه أنهم يؤمنون بالثالوث المقدس. وفي اليوم الذي يليه (اليوم الثالث) أمر بإحضار الحارث مع رجاله الذين كان يقدر عددهم بحوالي أربعمئة وأربعين رجلاً. وقال للحارث: «أنا أتحدث إليك يا حارث: لماذا لم تتبع خطا والدك الذي أسس المدينة وكل المنطقة من حولها، والذي كان يقدره الملك (سلفى) لأنه كان عند حسن ظن الجميع. ولكنك قررت أن تكون خائناً، وأن تكون الحاكم الأوحد لمدينة نجران، وما حولها. وآمنت بالرجل الذي ادّعى أنه الله، وفكرت أنك تستطيع أن تتحاشى عقوبتي. فكّر بنفسك وبسنك المتقدم، وبشخصك المعظّم كأحد أعضاء السنانو الذي أصبح مصدراً لقوتك، ولقوة الأشخاص الذين يتبعونك».

أجاب الحارث: «أنا فعلاً حزين من أجل كل المسيحيين الذين يعيشون في المدينة، ولقد نصحتهم بعدم فتح بوابة المدينة، ولكنهم لم يسمعوا إليّ، كما أني نصحتهم بأن يتقدموا لمحاربتكم، ولم يقبلوا ذلك. وقد هزمتك من قبل حين كان لديك آلاف من الجنود، وكنت لا أملك سوى ثلاثمئة جندي. استمعوا إليّ أيّها المسيحيون واليهود والإغريق.. إذا بقي أحد من أبنائي وعشيرتي، واحتفظ بدينه، فسوف يكون وريثي. وإنني أهدي للكنائس التي سوف تبنى فيما بعد ثلاثة من أجمل ما أملك من عقارات».

وبعدها أمر الملك بقطع رؤوسهم، وتركها لتأكلها الطير والوحوش. ويضيف مخطوط استشهاد الحارث شكل التعذيب بأن جعل الشهداء في صف، وفي الصف الذي أمامهم أطفالهم ونساءهم؛ لكي يجبرهم على ترك دينهم. ولكنهم رفضوا، وحتى النساء والأطفال تمسكوا بدينهم وهو هنا دين المسيح، ووضعوا حواراً دينياً على لسان الملك والشهداء وأسرهم. والمقصود من هذا الحوار هو إقناع من يقرأ المخطوط أن الجميع كانوا على الدين المسيحي، وأنهم تمسكوا بدينهم لدرجة التضحية بحياتهم، ثم أمر الملك وبشكل غاضب أن يضعهم في حفرة، وقتلهم بالسيف، وقد كانوا حوالي مئتين وسبع وعشرين امرأة. وقد قام خدم الملك الغاشم بتعذيب النساء، وجذبهن من شعورهن؛ لأنهنّ كنّ يقلن: باسم الأب والابن والروح القدس[٥٦].

ونخلص مما سبق إلى أن مخطوط الحارث ركّز على قضية مذبحة نجران، وأخبرنا أن الملك قسّم أهالي مدينة نجران إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول: رجال الدين المسيحيون، وكل من عمل في الكنسية، قام بحرقهم دون نقاش، وفي اليوم التالي أحضر أهل المدينة وجعلهم في صف، وجعل أبناءهم ونساءهم في صف مقابل، ووضع على ألسنتهم حواراً دينياً. وأظهر من خلاله تمسكهم بدينهم، وعلى رأسهم السيدة الأولى في المدينة وبناتها. ثم في اليوم الثالث أحضر الحارث ومن معه من النبلاء، ورؤساء القوم الذين ألقي القبض عليهم، وقيدهم بالحديد بعد أن صادر أموالهم. وهنا يتنبأ ببناء كنائس من أموال الحارث، وأن الحارث ومن معه قطعت رؤوسهم بالسيف. ولم يذكر رميهم في النار، وإنما ترك رؤوسهم ليأكل منها الطير، والوحش.

والمصدر الثالث هو كتاب الحميريين: وهو مجهول المؤلف، وكتب باللغة السريانية، وقد حقق الكتاب وترجمه إلى اللغة الإنجليزية الباحث A. Moberg. الذي يرى أن مؤلف الكتاب هو سرجيس الرصافي(٥٧)، في حين يرى (عرفان شهيد) أن مؤلف الكتاب هو شمعون الأرشمي(٥٨).

ويرى A. Moberg أن كتاب الحميريين هو الكتاب، أو المصدر الرئيس؛ لأنه مليء بالتفاصيل، ويأتي التالي لرسائل شمعون الأرشمي من حيث الأهمية. ويرى أن رسائل شمعون الأرشمي على الرغم من أنها تتحدث عن نفس الأحداث وبطريقة مماثلة لما ورد في كتاب الحميريين فإنها تعتبر مستقلة تماماً عن كتاب الحميريين. ومن هذا المنطلق يصل الباحث A. Moberg إلى رؤيةٍ هي أن الكتابات الأخرى في تصويرها للأحداث نفسها؛ اعتمدت على كتاب الحميريين، وأنها بقيت تعتمد على رواية كتاب الحميريين خصوصاً في بعض التفاصيل التي لم تكن قد دمجت في الأدب المتأخر، وقد وقع التركيز على الأسباب البدهية للأحداث، لا على الأمور المتعلقة بسجل الشهداء(٥٩).

ويشك A. Moberg فيما إذا كان الجزء الأول من كتاب الحميريين قد تحدث عن الوثنية الحميرية. ومن الممكن أن يكون الجزء الأول قد خصص للحديث عن اليهود، ودياناتهم. أما الجزءان الثاني والثالث فقد تحدثا عن اليهودية والنصرانية التي كانت في بداية تسربها إلى أرض الحميريين في ذلك الوقت. أما بالنسبة لليهودية فلا يوجد دليل في

الكتاب على بداية ظهورها في أرض الحميريين. وفي السياق القصصي للكتاب نجد أن اليهود كانوا جزءاً من الحكام، وأن اليهودية والوثنية وقفتا جنباً إلى جنب ضد الديانة المسيحية. ولكن الملك والنشطاء في الحكم كانوا من اليهود، وأحد الشهداء ليس على الكفر بالمسيح؛ ولكن لاعتناق اليهودية. وفي عنوان الجزء الرابع نجد أن الاضطهاد قام به اليهود. حيث نجد أن الشهيدة حبسة Habsa تباهت أمام الملك اليهودي بأن جدها حيان هو الذي أدخل العقيدة المسيحية إلى أرض نجران، وأنها وضعت في النار في يوم الـ Synagogue وهو يوم اجتماع اليهود للعبادة. وهذا القول ينطبق مع ما ورد في الحولية النسطورية(٦٠)، وهو يرى أن الحولية اقتبست هذه الفكرة من كتاب الحميريين. وعناوين الأجزاء من الثامن vii إلى 32 xxxii توضح أنه قبل الاضطهاد الذي قام به الملك اليهودي الذي يرد اسمه في كتاب الحميريين (مسروق). وكان هناك كنائس، ليس فقط في نجران، ولكن على الأقل، في كل من ظفار، وحضرموت إلى جانب كنائس ربما في كلّ من مأرب وهجران، وأنه في أثناء الاضطهاد، ربما تكون تلك الكنائس قد دمرت، ولكن بعد مجيء الأحباش عمروا عدداً كبيراً من تلك الكنائس. والرسالة التي تؤخذ من كتاب الحميريين بالنسبة لإعادة الإعمار؛ هي أن المسيحية تكون بعد الأزمات أقوى مما كانت عليه من قبل، ولديها كنائس أكثر من ذي قبل(٦١).

واستمرت المسيحية على الأقل في نجران حتى عهد الخليفة عمر بن الخطاب (ت ٦٤٤م) ويقال: إنه في السنة الثالثة عشرة للهجرة أمر المسيحيين الذين رفضوا اعتناق الإسلام أن يغادروا نجران إلى العراق، وأن المكان الذي هاجروا إليه يدعى نجران الكوفة. وإذا سمعنا عن أساقفة نجرانيين في وقت لاحق بعد عامي ٨٤٦ و٩٣٥م فإنه يعني بذلك نجران الكوفة(٦٢). وبالعود إلى المصادر الإسلامية نجد أن البلاذري أورد نص كتاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى أهالي نجران [جوار الله وذمة محمد – صلى الله عليه وسلم – على أنفسهم وملتهم وأرضهم وأموالهم]..(٦٣). فلما استخلف عمر بن الخطاب أجلى أهل نجران أي النجرانية، واشترى عقاراتهم وأموالهم. أما السبب فإنهم عملوا بالربا؛ فخاف عمر على الإسلام منهم؛ فأجلاهم عن الجزيرة، وكتب لهم. وكان أهل نجران أول من أعطى الجزية(٦٤).

ويلاحظ محقق كتاب الحميريين أن اليهود كانوا الطبقة الحاكمة في اليمن، وفي تلك الفترة كانت المسيحية صاحبة السلطة في نجران، وأن الوثنية وقفت في الحلف بشكل غريب، ولكنه لم يستطع تبرير رجوع الوثنية، وهل كان ذلك بسبب تدني ترك الأعداد المعتنقة للوثنية أو تدني الطبقة الاجتماعية للوثنيين – ولكنه يتجاهل الأحناف تمام التجاهل. ويعود ويقول: إن اليهود والوثنيين كانوا الغالبية العظمى من الشعب، وكان لليهود علاقات خارجية مع الجماعات اليهودية في الخارج، ومع دولة الفرس. وباعتبار الملك كان يهودياً، فإن هذا الأمر أعطى لليهود تفوقاً، وسيادة، وهذا الشيء أبرزه كتاب الحميريين بشكل واضح(٦٥).

والمصدر الرابع هو الـ The Acts of Gregentius وهي من مجموعة سير القديسين وتنقسم إلى ثلاثة أقسام:

١ – Vita وكان معتماً عليها لأكثر من نصف قرن. وهناك دراسة أجرتها الباحثة Evelyne Patlagean في مقالة ظهرت سنة ١٩٦٤. حيث درست عدداً من نصوص سيرة القديس، وقالت: إن الـ Vita كتبها راهب يوناني في إيطاليا، وإن الفترة التي كتبت فيها ما بين القرنين الثامن، والتاسع الميلاديين، وإن تأليفها كان رغبة في مساندة النظرية التي تتحدث عن أهمية الرومان، أو وضعهم في المكان الأول Primacy of the Romans. ووجدت الباحثة سيرتين إحداهما تخص Gregentius أسقف ظفار في القرن السادس الميلادي في جنوب الجزيرة العربية، والأخرى تخص Gregorios أسقف Agnigentum في صقلية. وقد لاحظت الباحثة أن هناك علاقة مثيرة بين السيرتين، وأن كلاً منهما كتبت من وجهة النظر الرومانية(٦٦) وهناك رؤية أو نتيجة توصلت إليها الباحثة، وهي أن الـ Vita تنقسم إلى قسمين: قسم يتحدث عن منطقة حوض البحر المتوسط، ووصفته بأنه Fictitious خيالي أو رواية، وبناء عليه فإن الجزء الخاص بجنوب الجزيرة هو خيالي أيضاً. وهنا يرفض عرفان شهيد هذه الرؤية بقوله: إن هذا قول مرفوض، ويجب مناقشته، حيث إن الـ Vita تحتوي على جزأين: جزء عن البحر المتوسط، والآخر عن الجزيرة

العربية، وإن الجزء الأول يمكن وصفه بأنه Fictitious، والثاني ليس بالضرورة كذلك.

٢ – حوار مع يهودي Dialougue with Herban

٣ – القوانين: Laws of Gregentius

وهو نص يتعامل مع القانون البيزنطي الذي طبق في جنوب الجزيرة العربية عن طريق الأحباش الذين سيطروا على اليمن. ومؤلف هذا المخطوط والعمل مجهول. وربما يكون Palladius Scholatig هو الذي ورد ذكره في الحوار. وقد يكون أحد الذين رافقوا القديس جريجنتوس St. Gregentius من الإسكندرية. وهذا القول ما هو إلا ضرب من التخمين. والحكم على صحة الأحداث بالنسبة للمخطوط بصفة عامة لا يمكن إلا عن طريق دراسة كلّ قسم من الأقسام دراسة عميقة قبل الخروج بخلاصة. وأسلوب كتابة المخطوط يوصف بأنه أسلوب Bombastic يحتفل بانتصار النصرانية الأرثوذكسية؛ على الرغم من أن النجاشي كان (مونوفيزياً)، والأسقف نفسه كان (مونوفيزياً)، ولكن يبدو أن المؤلف كان أرثوذكسياً. ويجب أن نلاحظ أن تغييراً قد حدث بالنسبة للنص بمرور الوقت؛ فعلى سبيل المثال نجد أن جريجنيوس يدعى أسقف ظفار في مخطوط، وذلك بحسب أقدم مخطوط في سيناء، ويدعى أسقف الحبشة في مخطوط آخر، ويدعى أسقف ليبيا في مخطوط ثالث. وهكذا نخلص إلى أن اسم الأسقف وتاريخ ذهابه إلى اليمن، ثم طول المدة التي أمضاها هناك؛ أمور غير محددة.

أما الشيء المعروف فهو أن المؤلف يتحدث اللغة اليونانية، وأنه كان أرثوذكسي المذهب، وأنه تاجر زار وعاش في مواني الجزيرة العربية، وسمع تلك الأحداث فسجلها، وأعطاها الغطاء الأرثوذكسي. أما شخصية أو هوية المؤلف فهي شيء من الصعب الكشف عنها. وكل ما نستطيع قوله هو أن Acts of Gregentius قد يكون استمراراً للكتاب السرياني؛ كتاب الحميريين، ومخطوط استشهاد الحارث حيث إنه يصف أنشطة رئيس الأساقفة بعد مذبحة نجران، وخلال الاحتلال

الأحباشي لجنوب الجزيرة. وكان ذلك في سنة ٥٣٠، ويذكر أن القديس Gregentius قد عين في عهد الأمبراطور جستين الأول (٥١٨ – ٥٢٧م) Justin I. والمؤكد أن المؤلف عاش في جنوب الجزيرة العربية خلال الفترة ٥٣٠م وإلى ٥٧٠ عندما أنهى الفرس احتلال الجيش لجنوب الجزيرة العربية، وأن الأحداث التي تلت ذلك هي دخول المسلمين، وتلك أحداث لا ترد في Acts of Greg[٦٧].

وقد لوحظ أن المصدر الرئيس للمؤلف كان الروايات الشفوية. ويعتقد خريستيدس أن الجزء الثاني من حياة القديس جريجنتوس؛ هو لب الروايات الأصلية من حيث إنه معاصر للأحداث التاريخية في القرن السادس. ويمكن أن يؤخذ منها المعلومات الجغرافية خصوصاً من رحلة الأسقف إلى الجنوب. وبرنامج بناء الكنائس بعد موت الملك الحميري. وأهم المعلومات الجغرافية المستخرجة؛ هو تحديد أماكن بناء الكنائس. وقد ذكر عدد من الكنائس بناها أبرهة، كما ورد ذكر ثلاث كنائس بنيت في نجران؛ منها واحدة خصصت للشهيد الحارث، وثلاث كنائس في العاصمة ظفار. وقد جاء على ذكر مدن أخرى مثل Legmia التي وجد أنه من الصعب تعريفها، وذكر Atfar التي ربما تكون ظفار، وبنيت كنائس في مدينة تدعى Agana وربما تكون قانا، وهي مدينة ساحلية. ومن المحتمل أن واحدة من كنائس قانا بناها الحواري توماس Thomas مؤسس كنائس الهند. إن مؤلف Acts of Gregentius قد وصف حصار نجران وسقوطها بدون أي محاولة؛ لابد أن يضع هذا الجزء في مكانه التاريخي. ولم يمهد للمذبحة بأي تقديم عن اجتياح النجاشي لجنوب الجزيرة. وكذلك لم يوضح وجود الحميريين الوثنيين، والمسيحيين خارج منطقة نجران، أو داخلها[٦٨].

وأهم ما تحتويه الـ .Acts of Greg هي أنها تقدم المسيحيين الذين كانوا حديثي العهد بالديانة المسيحية، وأن اعتناق الديانة بالقوة يبين مدى ضحالة الإيمان. ووجهة النظر هذه تتضح في الإنذار أو الوصية التي أصدرها كل من أبرهة، ملك الحميريين، والأسقف Gregentius؛ بعد مغادرة الأحباش الأمر الذي يوضح أنه إذا

لم يترك جميع السكان ديانتهم التي وصفت بأنها زائفة False وقبلوا الديانة المسيحية؛ فإنهم سوف تضرب أعناقهم. وهناك مثال آخر في Acts of Greg وهو اقتراح الأسقف Gregen للملك الحبشي أبرهة. ويقول فيه: بعد أن نحاول أن نقنعهم، فإذا لم يقبلوا بالتعمير؛ بعدها نستطيع أن نتقدم ضدهم باسم المسيحية، وأن نقتلهم، أو نذبحهم(٦٩) وهذا برهان واضح على أنه حتى المسيحيين يريدون فرض الدين بالقوة، وليس الملك اليهودي وحده هو الذي حاول فرض الدين بالقوة.

والخلاصة أن Acts of Gregentius قدمت الوجود المسيحي في جنوب الجزيرة قبل حمله النجاشي بشكل غامض. وعلى الرغم من الصمت عن وجود مواطنين مسيحيين في جنوب الجزيرة، فإننا نطلع على مقطع يتحدث عن نشاط النجاشي والأسقف Gregentius؛ حيث نجد أن المؤلف يقرر أنهما كانا مشغولين في إعادة تنظيم رجال الدين المسيحيين في جنوب الجزيرة الذين كانوا قد أبيدوا في كل مدينة بواسطة اليهود. وبناء عليه فإن هناك عرضاً وتلميحاً بشكل غير مباشر إلى وجود سابق لرجال دين مسيحيين في مدن جنوب الجزيرة، ولكن بدون توضيح فيما إذا كانوا مواطنين حميريين أو من الأحباش الذين جاءوا مع الجيش الحبشي الغازي(٧٠).

وكما لاحظنا فإن كتاب الحميريين، ومخطوط استشهاد الحارث لم يقدما أيّ معلومات خاصة عن الوثنيين، واليهود في جنوب الجزيرة. وكذلك الـ Acts of Greg لم تقدم أيّ معلومات عنهم، أو خلافاتهم مع بعضهم بعضاً؛ ومن ثمّ علاقتهم مع المسيحيين. ولكن من خلال الإشارات غير المباشرة نستطيع أن نلاحظ معلومات عن تواجد الوثنيين واليهود. ومن المعروف أنه قد وجد في جنوب الجزيرة العربية في مطلع القرن السادس جماعة من البيزنطيين، وجماعة من الفرس تحاربوا لتأسيس سيطرة سياسية. ومن هذا المنطلق فإن كلاً من اليهود والمسيحيين اتخذ مواقف معاكسة لبعضهم بعضاً، وأن المواطنين المسيحين اتحدوا مع البيزنطيين، ومع عمالهم الأحباش، في حين نجد أن المواطنين الحميريين؛ اليهود، والوثنين اتحدوا مع الفرس

لتكوين اندماج وتحالف. ومن الملاحظ في دراسة كلّ من وثيقة استشهاد الحارث والـ Acts of Greg فإن الوثنيين بقوا في الخلف. ولم يسجل أي نوع من العداء من قبل اليهود والحميريين ضد الوثنيين. والرسالة التي كتبها الملك اليهودي ذو نواس بعد مذبحة نجران، توضح أنه حافظ على علاقة ودية مع القادة الفرس، وكذلك مع الملك العربي الوثني في الحيرة، وبالاستناد إلى ما ورد لدى كل من Acts of Greg ومخطوط استشهاد الحارث، فإن الملك الفارس قياد Kawad، وهو عدو البيزنطيين، كان واحداً من الذين تسلموا إحدى الرسالتين التي أرسلهما ذو نواس عقب المذبحة في نجران[٧١].

وبالنسبة لمذبحة نجران؛ فقد ورد في Acts of Greg القتل عن طريق النار، وهي متفقة مع ما ورد في القرآن الكريم في سورة البروج ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾﴾[٧٢] ولو أن بعض المعلقين يرفضون ذلك الربط ويرجعون الأحداث إلى المذبحة التي نفذها نبوخذ نصر[٧٣]. ويبدو أن أولئك اختلطت عليهم الأحداث التاريخية لمذبحة نجران، والنصوص التوراتية.

وهناك تأكيد خاص لاستخدام النار في التعذيب في جنوب الجزيرة العربية؛ حيث وجدت إشارة إلى بعض الشعائر الدينية القديمة في جنوب الجزيرة، وهي المشي على النار. وحتى في أيامنا هذه فإن المشي على جزع نخلة يحترق مازال عادة سائدة في اليمن. وتحدث سير القديس بأمثلة مشابهة من حياة القديس في الحبشة من الـ Acts of Azkir حيث إن أزكير Azkir رسول المسيحيين في جنوب الجزيرة؛ وضع على نار موقدة، واستطاع الهروب من دون أن يمسه سوء[٧٤].

وقد حملت مدينة نجران[٧٥] أول اسم في تاريخ الأحداث التي زلزلت بعنف اليمن، أو جنوب الجزيرة العربية في الربع الأول من القرن السادس، وقد عرفت باسم مدينة الشهداء العربية. وأصبح حاكمها الحارث شهيداً وقديساً. وكما حفظ اسم نجران في المصادر العربية؛ فقد حفظ، ولكن بقدسية، في كل من المصادر اليونانية مثل

مخطوط استشهاد الحارث والـ Vita، وفي المصادر السريانية مثل كتاب الحميريين. وقد كان لنجران تأثيرها بوصفها مقدسة بالنسبة للعرب. وقد وجدت في بعض المناطق التي هاجر إليها نصارى نجران في القرن السابع الميلادي منطقتان، وربما أكثر تحمل اسم نجران؛ إحداهما في الكوفة، والأخرى في بلاد الشام(٧٦).

ونجران في اللغة اليهودية Yiddish تعني الرعد، أو المرعد؛ وهي الصا Lever بمعنى رافعة(٧٧).

لقد أخذت نجران شهرتها من شهدائها، واشتهر شهداؤها بأنهم نصارى. وقد استعرضنا المصادر التي كتبت عن شهداء نجران، والتي أكدت أن جميع من في المدينة نصارى، وثباتهم على دينهم أمام تهديد الملك اليهودي الذي خيرهم بين ترك دينهم وخلاص أرواحهم؛ فاختاروا الدين المسيحي على خلاص أرواحهم.

ولكن هل كان جميع الذين استشهدوا فعلاً نصارى؟ والقول الفصل في هذه القضية هو ما ورد عن هذه القضية في القرآن الكريم في سورة البروج ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾﴾(٧٨).

وسوف نستعرض آراء أقدم المفسرين وأشهرهم في تفسير الآيات لنتعرف وجهة النظر الإسلامية. ويأتي على رأس المفسرين الطبري الذي بدأ تفسيره للآيات بقوله: «اختلف أهل العلم في أصحاب الأخدود ومن هم»؟ ولتفسير هذا الاختلاف أورد سبع روايات مختلفة لم يفضل واحدة منها على الأخرى، ولم يؤيد، ولم يشجب ما ورد بأي رواية من الروايات.

والرواية الأول لعلي بن أبي طالب – رضي الله عنه –: أنهم كانوا أهل كتاب من بقايا المجوس، وأن ملكهم وقع على أخته، وأراد أن يفرض على الناس قوله: إن الله سبحانه وتعالى أحل نكاح الأخوات، وأن الناس رفضوا القبول بهذا القول؛ فاقترحت أخت الملك، وشريكته في الجرم أن يخذلهم الأخدود، ثم يعرض أهل مملكته على الأخدود، فمن أقر تركه، ومن رفض يقذف به في النار.

والرواية الثانية: عن (علي بن أبي طالب): «هم ناس بمذراع اليمن، اقتتل مؤمنوها وكفارها؛ فظهر مؤمنوها على كفارها، ثم اقتتلوا ثانية فظهر مؤمنوها على كفارها، ثم أخذ بعضهم على بعض عهداً ومواثيق؛ أن لا يغدر بعضهم ببعض؛ فغدر بهم الكفار؛ فأخذوهم أخذاً. ثم إن رجلاً من المؤمنين قال لهم: «توقدون ناراً ثم تعرضوننا عليها فمن تابعكم على دينكم فذلك الذي تشتهون، ومن اقتحم النار فاسترحتم منه. قال: فأججوا ناراً ثم عرضوا عليها، فجعلوا يقحمونها صناديدهم، ثم بقيت منهم عجوز كأنها نكصت، فقال لها طفل في حجرها: يا أماه امضي، ولا تنافقي، قص الله عليكم نبأهم وحديثهم».

الرواية الثالثة: عن (ابن عباس): «هم ناس من بني إسرائيل أخذوا أخدوداً في الأرض، ثم أوقدوا فيه ناراً، ثم أقاموا على ذلك الأخدود رجالاً ونساء فعرضوا عليها، وزعموا أنه دانيال وأصحابه».

الرواية الرابعة: عن مجاهد قوله: «كانت شقوق في الأرض بنجران كانوا يقذفون فيها الناس».

والرواية الخامسة: عن الضحاك: «يزعمون أن أصحاب الأخدود من بني إسرائيل أخذوا رجالاً ونساء، فخدوا لهم أخدوداً، ثم أوقدوا فيها النيران، فأقاموا المؤمنين عليها فقالوا: تكفرون، أو نقذفكم في النار».

والرواية السادسة التي أوردها الطبري: عن صهيب قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كان فيمن قبلكم ملك، وكان له ساحر؛ فأتى الساحر الملك فقال: قد كبرت سني، ودنا أجلي؛ فادفع لي غلاماً أعلمه السحر، قال: فدفع إليه غلاماً يعلمه السحر قال: فكان الغلام يختلف إلى الساحر، وكان بين الساحر، وبين الملك راهب: فكان الغلام إذا مرّ بالراهب قعد إليه؛ فسمع من كلامه فأعجب بكلامه، فكان الغلام إذا أتى الساحر ضربه، وقال: ما حبسك؟ وإذا أتى أهله قعد عند الراهب يسمع كلامه، وإذا رجع إلى أهله ضربوه، وقالوا: ما حبسك؟ فشكا ذلك إلى الراهب، فقال له الراهب: إذا قال لك الساحر ما حبسك؟ قل: حبسني أهلي، وإذا قال أهلك: ما حبسك؟ قل:

حبسني الساحر، فبينما هو كذلك إذ مرّ في طريق، وإذا دابة عظيمة في الطريق حبست الناس لا تدعهم يجوزون، فقال الغلام: الآن أعلم أمر الساحر أرضى عند الله أم أمر الراهب، قال: فأخذ حجراً قال: فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فإني أرمي بحجري هذا فيقتله ويمر الناس. قال: فرماها فقتلها فجاز الناس، فبلغ ذلك الراهب. قال: فلما أتاه الغلام قال الراهب للغلام: إنك خير مني، وإذا ابتليت فلا تخبر عني، قال: وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص وسائر الأدواء؛ وكان للملك جليس قال: فعمي، فقيل له: إن هاهنا غلاماً يبرئ الأكمه والأبرص وسائر الأدواء؛ فأتوا به وقال: تخيروا له هدايا. قال: ثم أتاه؛ فقال: يا غلام إن أبرأتني؛ فهذه الهدايا كلها لك. فقال: ما أنا بطبيب يشفيك، ولكن الله يشفي؛ فإذا آمنت دعوت الله أن يشفيك، قال: فآمن الأعمى؛ فدعا الله؛ فشفاه. فقعد الأعمى إلى الملك كما كان يقعد، فقال له الملك: ألم تكن أعمى؟ قال: بلى، قال: فمن شفاك؟ فقال: ربي، قال: ولك رب غيري؟ قال: نعم ربي وربك الله. قال: فأخذه بالعذاب، فقال: لتدلني على من علمك هذا. قال: فدّله على الغلام، فدعا الغلام، وأخذه بالعذاب؛ فدل على الراهب؛ فأخذ الراهب، وطلب منه الرجوع عن دينه. فلما رفض شقه بالمنشار شقين، وكذلك الرجل الذي كان أعمى. أما الفتى فقد أمر بإلقائه من الجبل؛ فلم يمت، وأمر بإغراقه في البحر فلم يمت. ودل الغلام الملك كيف يقتل، وذلك بأن يقول: باسم رب الغلام، ثم يرمي بسهم؛ فجمع الناس، وصلب الغلام؛ ثم رماه بالسهم؛ فوقع السهم في صدغ الغلام، ومات الغلام. فقال الناس: آمنا برب الغلام؛ فأضرم النيران، وأخذوا يلقون الناس فيها؛ فجاءت امرأة معها صبي فقال لها: يا أماه أمضي فإنك على الحق، فاقتحمت النار».

الرواية السابعة: عن الربيع بن أنس: «كان أصحاب الأخدود قوماً مؤمنين اعتزلوا الناس في الفترة، وإن جباراً من عبدة الأوثان أرسل إليهم، فعرض عليهم الدخول في دينه؛ فأبوا فخدَّ أخدوداً، وأوقد فيه ناراً، ثم خيرهم بين الدخول في النار والرجوع عن دينهم، فألقوا في النار؛ فنجّى الله المؤمنين الذين ألقوا في النار من الحريق؛ بأن قبض أرواحهم قبل أن تمسهم النار[٧٩].

ولكي نمحو علامات التعجب من تفسير الطبري علينا أن نعلم بعض الأمور عن اتجاه المفسرين. فقد اتجه المفسرون في تفسير القرآن اتجاهين: الأول يعرف باسم التفسير بالمأثور، وهو ما روي عن (الرسول صلى الله عليه وسلم) وكبار الصحابة. أما الثاني: وهو التفسير بالرأي، وهو كان اعتماده على العقل أكثر من اعتماده على الرواة. وقد اتسع التفسير بالمأثور بما أدخل عليه من آراء أهل الكتاب الذين دخلوا في الإسلام، وكانت لهم آراء أخذوها عن التوراة والإنجيل؛ مثل كعب الأحبار اليهودي، وعبدالله بن سلام، وابن جريج[٨٠].

ومن أشهر من كتب التفسير (محمد بن اسحق) الذي أخذ كثيراً من آرائه عن اليهودية، والنصرانية عن وهب بن منبه، وكعب الأحبار. على أن هذه التفسيرات ضاعت، ولم يصل إلينا شيء منها إلا عن طريق الطبري في تفسيره المشهور الذي يقع في ثلاثين مجلداً، والذي يقول عنه أحد المستشرقين: إنه دائرة معارف غنية بالتفسير بالمأثور[٨١].

ويمتاز الطبري بأنه كان يأتي بأخبار مأخوذة من القصص الإسرائيلية من مراجع يهودية الأصل؛ كما اتهم بأنه يورد الروايات كما هي، ولم يمارس النقد في الروايات التي أوردها، والتعويل على الروايات والحرص على السند، وكان الطبري إذا انتقد اهتم بنقد السند. وقد شبهت كتب الطبري بمعدة التنين الضخمة، التي تجد جميع المواد مكانها فيها دون دمج، أو تمثيل؛ بحيث يجعل منها كتلة متجانسة. وقيمة الطبري تعود إلى حفظ المادة الضائعة، ولا تعود إلى الرأي الذي أعطاه فيها؛ لأنه لم يعط رأيه فيما قدم من معلومات؛ حيث كان يقف خارج الأحداث، وخارج الرواية نفسها في برود عقلي واضح رامياً كل العهدة على رواته. وفي بعض الأحيان يورد روايات غير معقولة.

وهذا القول ينطبق على كتابات (الطبري) بالنسبة لكل من تفسير القرآن والتاريخ؛ لأن كتاباته التاريخية عكست ثقافته بوصفه محدثاً، وأسلوبه في التدوين

التاريخي استند إلى منهج أهل الحديث، والذي اعتمد فيه على نقطتين سبق أن أشرت إليهما، وهما: التعويل على الرواية، والحرص على السند[٨٢].

ويبدو أن التفسير بالمأثور وخصوصاً بالنسبة إلى هذه السورة منقول عن (الطبري)؛ فنرى أن (الزمخشري) الذي عاش ما بين الثلث الأخير من القرن الخامس والثلث الأول من القرن السادس الهجري اختار ثلاث روايات: الرواية الأولى وهي المنسوبة إلى (صهيب) من دون أن يذكر ذلك، ولكنه قال: روي عن (النبي صلى الله عليه وسلم) أنه قال: «كان لبعض الملوك ساحر... إلخ.

والرواية الثانية: رواية (علي): «عن الملك الذي وقع على أخته. والثالثة: رواية تقول: (وقع إلى نجران رجل ممن كان على دين عيسى... إلخ. وهو أيضاً مثل (الطبري) لم ينقد الروايات، ولم يفاضل بينها[٨٣].

وننتقل إلى عالم من القرن السادس الهجري، وهو (الطبرسي) الذي اعتمد على الروايات نفسها التي أوردها (الطبري). واختار ثلاثاً منها، الأولى: رواية (صهيب) وهي عن الملك والساحر، والثانية الملك الذي وقع على أخته، والأخيرة عن علي أنه أرسل إلى أسقف نجران يسأله عن أصحاب الأخدود. وهو أيضاً لم ينتقد أيّ رواية، ولم يفضل واحدة على الأخرى[٨٤].

وأورد الروايات نفسها (ابن كثير)[٨٥] وهو مفسر ومؤرخ من القرن الثامن الهجري، ولكنه بدأ بتفسير عام؛ حيث فسر كلمة أخدود وجمعها أخاديد، وهي الحفر في الأرض. وقال بصفة عامة في تفسير (قتل أصحاب الأخدود): «إنهم قوم من الكفار أجبروا جماعة من المؤمنين بالله عز وجل على ترك دينهم، وحينما رفضوا حفروا لهم في الأرض أخدوداً، وأججوا فيه النار. ومن رفض الرجوع عن دينه قذف في النار».

ثم أردف هذا التفسير قوله: «وقد اختلف أهل التفسير في أصل هذه القصة، من هم»؟. ثم أورد قول (أسباط عن السدى) في قوله تعالى ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ قال: «كانت الأخدود (الأخاديد) ثلاثة: خدّ بالعراق، وخدّ بالشام، وخدّ باليمن. رواه ابن أبي حاتم». ثم أورد روايتين الأولى رواية صهيب. وهي رواية الملك والساحر والغلام.

الرواية الثانية: يقال: «إن الملك هو (ذو نواس) والبلاد هي (نجران) دخل أهلها النصرانية وحرقهم في الأخدود؛ فقتل منهم في غداة واحدة عشرين ألفاً، ولم ينج منهم سوى رجل واحد يقال له (دوس ذو ثعلبان)، ذهب فارساً، وطردوا وراءه، فذهب إلى قيصر ملك الروم. فكتب إلى النجاشي ملك الحبشة، وأرسل معه جيشاً من نصارى الحبشة، فاستنقذوا اليمن من اليهود».

وهكذا نرى أن (ابن كثير) مزج بين التفسير العقلاني في تفسيره، والتفسير بالمأثور الذي كان سائداً بين من سبق من المفسرين. وقد اختار الرواية التي جاءت على لسان (رسول الله صلى الله عليه وسلم). ثم الرواية التاريخية المتداولة عن الموضوع. وعلى الرغم من إشارته إلى اختلاف أهل التفسير في أصل هذه القصة، فإنه لم يقل بأنه يفضل، أو يميل إلى تفضيل أي رواية على أخرى، ومن ثمّ لم ينتقد أيّ رواية.

و(الألوسي) من علماء القرن الثالث عشر الهجري (١٢٧٠هـ)[٨٨] بدأ بتفسير كلمة الأخدود، «والخدّ هو الشق في الأرض ونحوهما بناء ومعنى. وقال باختلاف الأخبار في قصة أصحاب الأخدود، وقد استعرض منها خمس روايات».

الرواية الأولى: حديث مصعب وهو قصة الفتى والساحر. والرواية الثانية رواية (علي) كرم الله وجهه وأسقف نجران. والرواية الثالثة الملك المجوسي الذي وقع على أخته أو ابنته. والرواية الرابعة: «وقع إلى نجران رجل ممن كان على دين عيسى فسار إليه ذو نواس بجنوده». الرواية الخامسة[٨٦]، رواية تهمل دائماً وهي رواية (عمرو بن هند) المشهور بمحرق[٨٧] حرق مئة من بني تميم.

ويذكر (الألوسي) أنه «نظراً لاختلاف الأخبار في القصة اختلفوا في موضع الأخدود فقيل: إنه في نجران، وقيل: بأرض الحبشة وقيل: إنه بمذراع اليمن (قرى اليمن)، وهذا لا ينافي كونه بنجران؛ لأنه بلد باليمن. وكذلك اختلفوا في أصحاب الأخدود، فقيل فيهم ما يزيد على عشرة أقوال؛ منها: أنهم أحباش، ومنها أنهم من النبط. وروي عن (عكرمة) أنهم من بني إسرائيل. ويرى (الألوسي) أن أصح

الروايات عنده هو ما روي عن (صهيب) وأن الجمع بين جميع الروايات ممكن» وقد قال (عصام الدين) لعل جميع ما روي واقع، والقرآن شامل له[٨٨].

لقد قبل المفسرون روايات (الطبري) ووضعوها قاعدة لتفسير السورة. وعندما نصل إلى (سيد قطب) في تفسيره، وهو من المفسرين المحدثين. نجد أنه قد تخلص من كل الروايات السابقة إذ يقول: «إن الموضوع المباشر الذي تتحدث عنه السورة هو حادث أصحاب الأخدود؛ وهو أن فئة من المؤمنين السابقين على الإسلام، قيل: إنهم من النصارى الموحدين - ابتلوا بأعداء لهم طغاة.. أرادوهم على ترك عقيدتهم، والارتداد عن دينهم فأبوا. فشق لهم الطغاة شقاً في الأرض، وأوقدوا فيه النار، وكبوا فيه جماعة المؤمنين؛ فماتوا حرقاً»[٨٩].

ومن الغريب أن (ياقوت الحموي) وهو ليس من الجماعة الذين قاموا بتفسير القرآن نراه يرفض رواية (ابن إسحق) عن الملك والساحر والغلام، وقبل رواية الترمذي الذي قال: «إن الملك كان كافراً، وأصحاب الأخدود مؤمنين»[٩٠].

وهذا يعني أن رواية (صهيب) التي رويت عن لسان (رسول الله - صلى الله عليه وسلم -) ما هي إلا رواية (ابن إسحق)؛ لأنها هي نفسها رواية الملك، والساحر، والغلام.

إن إسراف (الطبري)، وبقية المصادر الإسلامية في قبول الإسرائيليات دون تمحيص كان موضع انتقاد. وهذا الانتقاد جاء من الباحثين الغربيين، وخصوصاً فيما يخص قضية شهداء نجران سواء ما ورد في الروايات التاريخية أم المسجلة في كتب التاريخ المشار إليها سابقاً عند ورود قضية دخول النصرانية إلى اليمن، وبالذات نجران، أو ما ورد في تفسير سورة البروج.

وقد خص محقق كتاب الحميريين وهو الباحث A. Moberg[٩١] الروايات الإسلامية بنقد خاص في ظل علاقتها بكتاب الحميريين، ومدى اعتمادها على كتاب الحميريين مثلها مثل باقي المصادر التي تحدث عن شهداء نجران.

والتفاصيل التي أوردتها الروايات الإسلامية في نظره لا تستحق Stripped

out Credits – أيّ فضل، أو حتى جرة قلم يذكر لها فضل في هذا الجانب. وأقدم الروايات عن مذبحة اليمن، والاحتلال الحبشي الأول لليمن؛ هي رواية (ابن اسحق) التي حفظها (ابن هشام) و(الطبري) وتحتوي بصفة عامة حقائق نجد فيها تطابقاً مع محتويات كتاب الحميريين. وهي على النحو الآتي:

أولاً: المسيحية دخلت إلى نجران عن طريق شخص غريب هو (فيميون)، أو عن طريق (عبدالله بن تامر).

ثانياً: آخر ملوك الحميريين كان (ذا نواس) والذي اعتنق مع مجموعة من أهله الدين اليهودي، واتخذ لنفسه اسم (يوسف)، وأن هذا الملك عاصمته صنعاء، وأنه ذهب على رأس جيش لمحاربة نجران، ودعا سكان نجران إلى اعتناق اليهودية، وعندما رفضوا حفر لهم الأخدود، ثم يحيل إلى سورة البروج في القرآن العظيم. وحرقهم، وذبحهم بالسيف، ومثل بهم، وقتل تقريباً حوالي عشرين ألفاً من بينهم (عبدالله بن تامر). وهنا رواية تقول: "إنه قتل قبل ذلك التاريخ». ورواية ثالثة تقول: «إن رجلاً اسمه دواس ذو ثالبان» – ورواية أخرى تقول: «إن اسمه كان (حيان) أو (جابر بن فايد) هرب إلى الإمبراطور البيزنطي، وطلب مساعدته ضد (ذي نواس)، وأن بعد المسافة لم يسمح للإمبراطور بالتدخل بشكل مباشر، وأن الرجل أرسلت معه توصية من الإمبراطور إلى ملك الحبشة الذي جهز جيشاً تحت قيادة Ariat آريات، وهو أبرهة الأشرم. وذهب مع الجيش إلى اليمن ليحارب الحميريين الذين هزموا، ورمى ذو نواس نفسه، وهو على ظهر حصانه في البحر، وأن آريات أصبح بعد ذلك حاكماً».

ورواية (ابن الكلبي) المشهورة التي تقدم أموراً مؤكدة، لكنها ليست مهمة، تقول: «إن ذا نواس عندما تقدم إلى نجران بحماس للدعوة إلى الدين اليهودي، والسبب كان ثورة المسيحية ضد اليهود، وإن رجلاً هرب من نجران وكان اسمه (دواس) توجه إلى ملك الحبشة، وطلب المساعدة: وكان الملك على استعداد للقدوم، ومساعدة المسيحيين؛ ولكن لم يستطع أن يفعل شيئاً حتى أرسل إليه الإمبراطور البيزنطي عدداً من السفن المطلوبة للنقل، وإن ذا نواس نجح في هزيمة الأحباش

المنتصرين الذين لم يذكر اسم قائدهم، وإن جيشاً جديداً أرسل بقيادة اثنين من الحميريين، وإن ذا نواس ألقى بنفسه في البحر، وأبرهة أصبح ملك صنعاء وآريات ظهر بعد ذلك[٩٢]. ويعترف A. Moberg أن هذه الروايات العربية لقيت بعض التقدير من بعض الباحثين، وأنه هو نفسه لم ير في تلك الروايات أيّ شيء يشير إلى أن الروايات العربية لها قيمة تاريخية مستقلة؛ من حيث الملك اليهودي، والمسيحي في نجران، والإمبراطور، وملك الحبشة، والسفن، والحروب ضد الحميريين، وهزيمة الملك اليهودي، وموته، واحتلال اليمن.

إن كل النقاط التي ذكرت مأخوذة من الـ Acta ونقطة مأخوذة من كتاب الحميريين، وهي موت الملك اليهودي في البحر في طبعة Guidi لذا يمكن القول: إنه لا يوجد شيء جديد، أو مستقل عما ورد في غيرها من الروايات المشار إليها، فضلاً عن وجود مفارقات تاريخية جعلت صنعاء عاصمة الحميريين بدلاً من ظفار.

ونقلاً عن البروفسور Guidi يقول A. Moberg: «إن المؤرخين المسلمين أخذوا معلوماتهم عن المسيحية، وعن الدولة البيزنطية في فترة ما قبل الإسلام من المصادر السريانية، والمصادر اليونانية، وهذا ينطبق على روايات دخول المسيحية في جنوب الجزيرة العربية، وأن الروايات الكنسية السريانية، واليونانية قد أمدت الرواة المسلمين بملامح من وصفهم الممزوج بالأساطير، والخيال مطلق العنان. ويستدل على ذلك من رواية (الكلبي) أن الملك الحبشي أرسل إلى الإمبراطور البيزنطي سفناً لنقل الجنود تقول: «إن النجراني الذي ذهب إلى الملك طالباً مساعدته أحضر معه الإنجيل الذي أحرقته النار ليفهم من ذلك أن الدمار كان سببه اليهود السفاحين، وأن الكتاب المقدس استخدم برهاناً قاطعاً على المذبحة، وأن الملك بدوره أرسل الكتاب إلى الإمبراطور».

ويشك A. Moberg فيما إذا كانت هذه الرواية عربية. ويبدو له أن من المحتمل أنها أخذت من أسطورة دينية. ومثل آخر أسطورة موت (عبدالله بن تامر)؛ وبالاستناد إلى تلك الأسطورة فإن ملك نجران عندما أراد قتل (عبدالله) أخبره

(عبدالله) بأنه لا يستطيع قتله برميه من أعلى الجبل، أو رميه في البحر، ولكن عندما ينطق الملك بالاعتراف بالله (عبدالله) يستطيع قتله. وهذه القصة قريبة جداً من الانجذاب، أو الاتفاق مع القصص الأخرى المعروفة في أدب الشهداء.

أما الشيء المهم في نظره لدى المسلمين فهو السورة الواردة في القرآن، وهي التي تشير إلى أصحاب الأخدود وهي حقيقية، وفيها إشارة إلى وقائع نجران وأحداثها. وفي هذه الحالة يمكن أن تشكل برهاناً ملحوظاً. وأن الكلمة العربية (أخدود) من وجهة نظر الدراسة التي تعتني بأصل الكلمات وتاريخها Etymology هي كلمة محددة، وتعني خندقاً طويلاً، وأنا أعترف أنني أودّ أن أكتشف كيف استعملت في إدراك معنى محسّن حتى في الوقت الماضي. وموضوع الحدث أن المفسرين الإسلاميين اتفقوا في كل الروايات على قبول الكلمة، ولكنهم لم يتفقوا وبشكل جماعي على الإشارة إلى شهداء نجران.

ويستعرض A. Moberg الروايات التي أوردها (الطبري) فيها الرواية عن المجوس (الملك الذي وقع على أخته) والرواية التي تقول: إنهم من بني إسرائيل، وإن المقصود بالتعذيب هو النبي (دانييل) Danial ورجاله، وهم الذين حرقوا بالنار. ويشير إلى الباحث O. Loth، الذي ناقش هذا السؤال بشكل مطول في بحث ممتاز، ورأيه في روايات أخرى أوردها (الطبري) موضحاً تأثير سجل الشهداء Martyrology للقديس (جورج) Georg على تلك الروايات.

ومن هنا نخلص إلى أن قصة شهداء نجران كانت معروفة لدى المسلمين. ويعتقد O. Loth بأن المسلمين قد عرفوا قضية شهداء نجران فقط من النجرانيين الذين نفوا إلى العراق في عهد (عمر). وأن المسلمين أخذوا كل معلوماتهم عن هذا الحادث من الروايات اليونانية، أو السريانية، وإن كانت هذه القضية قد حفظت فقد حفظت في كتاب الحميريين، في الروايات الإسلامية، والمقصود هنا هو قضية شهداء نجران[٩٣].

ونحن نرد عليهم بالقول: إن القرآن كما وضح بالتحديد كلمة (الأخدود)، فقد

وضح بشكل محدد أيضاً وضع الشهداء. وقد وصفهم وصفاً دقيقاً لا خلط فيه، وميز بينهم وبين باقي الأديان بأنهم (مؤمنون) ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾﴾. وعلينا أن نشرح من هم المؤمنون الذين أشار إليهم القرآن الكريم. واتفق أهل العلم من اللغويين على أن الإيمان معناه التصديق. والأصل في الإيمان الدخول في صدق الأمانة التي ائتمنه الله عليها، فإذا اعتقد التصديق بالقلب كما صدّق بلسانه فقد أدى الأمانة وهو مؤمن[٩٤]. وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ وفي حديث (ابن عباس) قال (صلى الله عليهم وسلم): «الإيمان أمانة. ولا دين لمن لا أمانة له». وفي حديث آخر: «لا إيمان لمن لا أمانة له». وقد سئل «الرسول صلى الله عليه وسلم» عن المؤمن؛ فقال: «من ائتمنه الناس على أموالهم وأنفسهم. وفي قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ﴾[٩٥].

والمؤمنون في سورة الأخدود هم الحنفاء الذين أشارت إليهم الدراسات التي عملت على النقوش السبئية والتي أشرنا إليها آنفاً[٩٦] الذين آمنوا برب السماء والأرض (الرحمن) والذين أطلق عليهم الموحدون. وقد أشارت الدراسات إلى أن التيار الرئيس للعبادة في القرنين الرابع والخامس في جنوب الجزيرة؛ هو الرحمانية بمعنى أن من لم يكن يهودياً ولا نصرانياً؛ فإنه وعلى وجه التحديد يكون حنيفاً أي عقيدة (إبراهيم عليه السلام).

والحنفاء أو الأحناف جماعة من العرب لم تعبد الأصنام، ولم تكن من اليهود، ولا النصارى؛ وإنما اعتقدت بوجود إله واحدٍ عبدته، وقالوا: إنهم كانوا على دين (إبراهيم) ولم يشركوا بربهم شيئاً.

والحنيف المسلم الذي يتحنّف عن الأديان الأخرى، أي يميل عن الباطل إلى الحق، وقيل: هو الذي يستقبل قبلة البيت الحرام على ملة إبراهيم، وقيل: هو

المخلص، وقيل: من أسلم في أمر الله فلم يلتو في شيء. وقال (أبو عبيدة) في قوله عز وجل: ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ قال: «من كان على دين إبراهيم»[٩٧].

ومعنى الحنفية في اللغة الميل. ويقال تحنف فلان إلى الشيء تحنفاً إذا مال إليه. وقيل: إن الحنف الاستقامة، وإنما قيل المائل – وتحنف الرجل إلى عمل الحنيفية ويقال: اختتن ويقال اعتزل الأصنام[٩٨]. والدين الحنيف الإسلام. والحنيفية ملة الإسلام. وفي الحديث «أحب الأديان إلى الله الحنيفية»، وقيل له: حنيف: لعدو له عن الشرك[٩٩].

والذي يستعرض آيات القرآن الكريم يجد أن الحنيفية ذكرت في حوالي اثنتي عشرة آية توضح أنها الدين القويم، وأنها ليست يهودية، ولا نصرانية، ولا صابئة، ولا مجوسية ولا وثنية، وأنها مرادفة للإسلام:

١ – ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾[١٠٠].
٢ – ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾[١٠١].
٣ – ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾[١٠٢].
٤ – ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾[١٠٣].
٥ – ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا﴾[١٠٤].
٦ – ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾[١٠٥].
٧ – ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[١٠٦].
٨ – ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[١٠٧].
٩ – ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾[١٠٨].
١٠ – ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾[١٠٩].
١١ – ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾[١١٠].
١٢ – ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾[١١١].

والإشارة في القرآن إلى الذين آمنوا لا يعني أنهم الذين آمنوا من النصارى كما ورد لدى (سيد قطب). لأن القرآن الكريم ردّ بالقول القاطع على ذلك القول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾(١١٢)، والآية تضع جميع الديانات والمعتقدات بعضها مع بعض؛ لتفرق بوضوح، وبدون لبس، بين المؤمنين واليهود، والنصارى والمجوس المشركين.

وقد وضحنا أن المؤمن هو الحنيف المسلم، وهذا ردّ على من قال بأن الحنفاء هم الصابئة؛ وذلك نظراً لأن اللفظ أصله سرياني معرب. وقد أطلق على المنشقين على عبادة قومهم الخارجين عليها. كما أطلق أهل مكة على (النبي صلى الله عليه وسلم) الصابئ؛ فصارت علماً لمن تنكر لعبادة قومه، وخرج على عبادة الأصنام(١١٣) وقال بهذا القول بعض المستشرقين. والإشارة جاءت من الناحية اللغوية؛ حيث إن كلمة (حنيف) في نظرهم مستعارة في اللغة العربية a loan word وهي كلمة من أصل سرياني Hanpo تعني Pagan وثنياً أو صابئاً(١١٤) وقد ذهب بعضهم إلى أن اللفظ من أصل عبراني هو Tehinoth ومعناه التحنث، ولهذه اللفظة صلة بالزهد والزهاد(١١٥).

وللإنصاف يخرج أحد المستشرقين ببحث يأخذ جذوره من القرآن الكريم، وهو ربط الحنيفية بدين إبراهيم. وفي هذا ردّ بليغ على من ينكر الحنيفية، ويقول بأنها جماعة لم تكن تتبع ديناً بالمعنى المفهوم من الدين كدين اليهود، والنصارى، له أحكام وشريعة. وتستمد أحكامها من كتب مقدسة، ومنزلة من السماء على نحو ما نفهمه من الأديان السماوية. وردنا على ذلك هو ما ورد في القرآن الكريم بأنه يوجد للأحناف كتاب، ووحي نزل من السماء في قوله تعالى في سورة الأعلى ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝١٩﴾ وكذلك سورة (النجم) التي لم تذكر فقط صحف (إبراهيم وموسى)، بل ذكرت، وبالتفصيل، ما ورد في تلك الصحف الشيء الذي أوحى بالدراسة التي قام بها (هاملتو جب)، وأخذ ما ورد في تلك الآيات وقارنها

بما هو موجود في العهد القديم وبالذات ما جاء به (موسى)[١١٦] وهذا أبلغ ردّ على من أنكر على الحنيفية بأن لها كتاباً سماوياً. وسأسمح لنفسي بالإطالة، وأورد ما ورد في القرآن، ومقارنة (جب) بما ورد في العهد القديم في هذا البحث؛ لأنه يعزز قولي بأن المؤمنين هم الحنفاء الذين هم على دين إبراهيم عليه السلام.

والآيات المدروسة من سورة (النجم) هي التالية: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ (٣٣) وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ (٣٤) أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ (٣٥) أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ (٣٦) وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ (٣٧) أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ (٣٨) وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ (٤٠) ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ (٤١) وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ (٤٢) وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ (٤٣) وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا (٤٤) وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ (٤٥) مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ (٤٦) وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ (٤٧) وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ (٤٨) وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ (٤٩) وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ (٥٠) وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبْقَىٰ (٥١) وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُواْ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ (٥٢) وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ (٥٣) فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ (٥٤) فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ (٥٥) هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ (٥٦)﴾[١١٧].

لقد أخذ الآيات من ٣٢-٣٨ وأخذ يقارنها بما يطابقها في التوراة حتى يصل إلى الآية (٥٤) ﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾ حيث يرى أنها تظهر شكل الجملة التقليدية لخلاصة برهان التوحيد، ويعكس لهجة جنوب عرب الجزيرة العربية، ويظهر هذا الأسلوب مرة أخرى في سورة الرحمن كضربات الطبل بعباراتها التي تتكرر على نحو موصول في قصيدة شعرية، وهي مرقمة ترقيماً متقناً محكماً لتوضيح المعنى. بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ (١) عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ (٢) خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ (٣) عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ (٤)﴾... إلى آخره[١١٨] وأن هذه السورة تأكيد على فكرة عقيدة التوحيد، وهي عقيدة منفصلة عن كل من العقائد المنافسة، وأن هذه المنافسة المرة وجدت في جنوب الجزيرة العربية، والمعروفة من المعلومات التاريخية. وأن الروايات

العربية تربط بين المنافسة الدينية وبين المنافسة السياسية للقوى الإمبريالية المحيطة بها(١١٩).

وهناك من علق على ما ورد لدى (المسعودي) بأن الحنيفية هم الصابئة، وقد استندوا في رأيهم إلى ما ورد في كتابه التنبيه والإشراف(١٢٠). وبالرجوع إلى الكتاب المذكور وجدنا أن ما أشار إليهم (المسعودي) هم ملوك الروم(١٢١) الصابئة، وليس عرب جنوب الجزيرة العربية، ولكنهم جهلوا، أو تجاهلوا ما ورد لدى (المسعودي) في كتابه (مروج الذهب)(١٢٢) الذي خص بالذكر أهالي (نجران) حيث قال: «إن أهل نجران كانوا مؤمنين موحدين لا على رأي النصرانية في هذا الوقت. وفي هذا ردّ على القول بأن المؤمنين هم المؤمنون من النصارى، وقد ورد ما يفيد أن المقصود هم الأحناف وليس النصارى، وما ورد في كتاب مجمع البيان(١٢٣). من أن (الرسول صلى الله عليه وسلم) كان يعد الرهبانية مخالفة للحنيفية. إذ ورد أن (أبا عامر بن صيفي بن مالك.. بن الأوس) المعروف بالراهب عندما قدم إلى المدينة ورأى (الرسول صلى الله عليه وسلم) سأله: ما هذا الذي جئت به؟ فقال (الرسول صلى الله عليه وسلم): جئت بالحنيفية دين إبراهيم. قال عامر: فأنا عليها. فقال: (الرسول صلى الله عليه وسلم): لست عليها، ولكنك أدخلت فيها ما ليس منها، وقد سماه (الرسول صلى الله عليه وسلم) الفاسق».

إن طبيعة الرحمانية في القرن الرابع والخامس من المستحيل أن تصنف على أنها مسيحية. ولا يوجد مسيحي خصوصاً في تلك الفترة يمكن أن يكون مقتنعاً بالإشارة ببساطة إلى مثل (الرحمن) أو (الرحيم) بدون أي إشارة إلى (المسيح). والقول بأن الرحمانية في تلك الفترة اعتبرت هرطقة مسيحية هو قول مرفوض؛ لأن الهرطقة في تلك الفترة ركزت على طبيعة المسيح. والاختلاف كان بين أنصار المسيح الإله والمسيح الإنسان(١٢٤).

وهذا القول كفر، وليس إيماناً؛ وذلك وفقاً لما ورد في الآيات التالية ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ

وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾[١٢٥]. وقوله تعالى ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾[١٢٦].

وقوله تعالى ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾﴾[١٢٧].

وقوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾[١٢٨].

إن عدم الإشارة بشكل، أو بآخر إلى الحنفاء في المصادر المسيحية عمل متعمد من المسيحيين المتعصبين الذين أرادوا أن يضخموا عملية الاستشهاد، وأن يأخذوا النصيب الأكبر لنصرة قضيتهم، كما أشرنا إلى ذلك آنفاً في عملية الدعاية التي قام بها (شمعون الأرشمي) وغيره من المسيحيين المتعصبين. وهذه الملاحظة يشاركنا فيها محقق كتاب الحميريين، ولكنه لا يشير في خطته إلى التعتيم، أو التجاهل الذي قام به النصارى بالنسبة للحنفاء. ولكن ملاحظته جاءت بالنسبة للوثنية؛ إذ يقول: «لقد أشرنا إلى أن اليهود كانوا الطبقة الحاكمة خلال فترة الاضطهاد، (وأن المسيحية كانت صاحبة السلطة في نجران، وأن الوثنية وقفت في الخلف بشكل غريب، ولكن ليس من الواضح السبب في موقعها! وهل كان ذلك بسبب العداء أو بسبب تدني الطبقة الاجتماعية! وأنها كانت كذلك في فترة قصيرة وهي فترة حكم مسروق [ذي نواس]،

والسبب في ذلك يعود إلى أنه كان يهودياً. أما السبب في نظره فيعود إلى أن المسيحية اتحدت مع الأحباش، وأن اليهود كونوا علاقات مع الجماعات اليهودية خارج اليمن، وكذلك مع الفرس، ولكن الوثنيين كونوا الغالبية العظمى من الشعب، ولم تكن لهم علاقات خارجية، وربما هذا هو السبب الذي لم يعط للوثنية أيّ تفوق، أو سيادة، وهذا الشيء أكد عليه كتاب الحميريين بشكل قوي[١٢٩].

وهناك إشارة إلى أن (الحارث) كان الرئيس، وكان الشخصية القيادية في نجران، وأن والده كان حنيفياً، وأن الوالد كان القائد القوي في نجران وما حولها؛ وهذا يعني برهاناً واضحاً على أن للحنفاء مكانة اجتماعية بارزة، ولم يكن وضعهم الاجتماعي متدنياً كما أشار الباحث A. Moberg بالنسبة للوثنية، وأن عدم إشارته للحنيفية ووضعها لم يكن إلا من قبيل التعتيم على هذه الفئة، وعلى تمسكها الفعلي بدينها، وأنه ربما زورت الوثائق المسيحية القول بأن (الحارث) نفسه كان مسيحياً، وأنه أوصى بأفضل جزء من ثروته لبناء كنائس في نجران[١٣٠].

ولكن ما حدث أن المبنى الذي أقيم تخليداً لذكرى (الحارث) في نجران ومن أمواله التي أوصى بها أطلق عليه اسم (كعبة نجران)؛ فلو كان الحارث مسيحياً فعلاً لسمى ذلك المبنى الديني كنيسة أو (قلسن)، وهي الكلمة التي تعني كنيسة في اللغة السبئية القديمة، والتي أطلقت على الكنيسة التي بناها أبرهة (القليس)[١٣١].

وكلمة (كعبة) فيها إشارة أكيدة على أن الحارث كان من الحنفاء، وأن الحنفاء كانوا يحجون (أي يزورون) إلى الكعبة في (مكة المكرمة) ويعظمونها. وقد قام (عرفان شهيد) بدراسة عن الكنيسة[١٣٢] التي بنيت في نجران، ويذكر أن المصادر تحتوي إفادة متضاربة بالنسبة لأماكن العبادة المسيحية في نجران، عن طريق المؤرخين الذين لم يكونوا مسيحيين، ولم يكونوا على معرفة بالشكل الهندسي للكنائس، كما أنهم لم يفرقوا بين مكان الشهداء، والدير، والكنيسة[١٣٣].

والذي يهمنا في تلك الأبنية هو مكان الشهداء The Martyrium وهو كعبة نجران المشهورة، والذي فهم بأنه دير، وكنيسة، ومكان للحج. أما الملامح الأساسية

لذلك Martyrium وقد وصف بأنه Square Domical Martyrium مربع وله قبة. وكان يشبه بناء الخيمة التي استخدمها العرب في فترة ما قبل الإسلام في المناسبات المهمة؛ مثل التجهيزات الملكية للنساء النبيلات، والقضاة، والمحكمين. والمعروف أن (نجران) كانت مقعداً للمحكمين العرب في فترة ما قبل الإسلام. ومن أشهر المحكمين بها (الأفعى ابن الأفعى الجرهمي). والقبة لم تكن سوى الشكل الهندسي للبناء الديني المسيحي المأخوذ من التصميم الإمبراطوري الروماني كرمز للشهداء. ولم يكن بناء الشهداء مبنياً من الخشب، أو الحجارة، ولكن من الجلد الذي اشتهرت به نجران. ولبناء القبة استخدمت ثلاثمئة قطعة من الجلد. أما التربيع والتكعيب فهو الهيكل الذي توضع فوقه القبة، ومن الممكن أن يكون الهيكل السفلي هو الذي نشأ منه [أخذ منه] مصطلح (كعبة) كتمييز لبناء الشهداء Martyrium وهو مناسب من جهتين؛ جهة الشكل الهندسي، وجهة المكان للحج. كما وجدت إشارة إلى (محراب)، وهو يعني في الهندسة المعمارية الإسلامية قبلة المسجد. ثم ننتقل إلى الزينة، ووصفت بأنها مفروشة بالحرير، والديباج، والمعادن اليمنية والموزاييك. ومن الطبيعي أن نفترض أن تلك الزينة تنطبق على كلّ من الكنائس، والأديرة، وأضرحة الشهداء(١٣٤).

وأضاف (عرفان شهيد) أن احتفالات كانت تقام، وأن جموعاً من الناس كانوا يحضرون عيد الشهداء في نجران، وكانت تقدم الضيافة على شرف الشهداء. وبما أن الـ Martyrium قد أصبح مقصداً للحج ليس فقط للنجرانيين، ولكن أيضاً لجيرانهم العرب؛ فمن الطبيعي أن يتطور إلى منشأة تقدم خدمة طعام Catering خصوصاً للزوار الغرباء عن المنطقة، وأصبحت جزءاً من واجبات السدانة Custodian of Martyrium بطريقة مشابهة (للرفادة) التي كانت تقدم لحجاج مكة التي أصبحت جزءاً من واجبات (قريش). ويشير إلى إشارة لدى (الهمداني) وهي (موائد النياحة) التي ربما يقصد بها عيد الشهداء؛ حيث مارسوا حزنهم على الأموات. كما أشار إلى إضافة تراتيل تتلى لشرف شهداء نجران. وأهم ما في تلك الأمور موضوع (الحج) إذ إن المكان أكثر الأضرحة أهمية في فترة ما قبل الإسلام؛ وحيث حج إليه المسيحيون العرب من أهل المنطقة. ويذكر أن أولئك الذين حجوا إليه كانوا من بني الحارث، وتلك

الجماعة لم يهتموا بالشهور الحرم، ولم يحجوا إلى الكعبة في مكة، وأن كل جماعة الخثعم حجوا إلى (نجران). وهناك وجد الخائف والمستجير فيه ملجأ، وقد وصف بأنه مكان لا تنتهك حرمته كملجأ آمن يلجأ إليه المجرمون في العهود الماضية. ويمكن أن يكون قد استخدم فندقاً Hospice لعابري السبيل [أبناء السبيل] وهنا نتساءل: هل قدمت وجبات مثل تلك التي قدمت خلال عيد الشهداء، والرفادة للحجاج خلال الموسم؟

إن خدمة (سدانة) المكان كان في يد بني الحارث، وهي الجماعة التي ينسب إليها رئيس أو شيخ الشهداء الحارث[١٣٥].

وإذا قارنا ما جاء به (عرفان شهيد) في وصف كعبة (نجران) لوجدنا أنها تشبه إلى حد كبير (الكعبة المشرفة) في (مكة المكرمة)، وهي أولاً: من حيث البناء الهندسي: التكعيب – المحراب – ثانياً: اتخاذها مكاناً للحج، ثالثاً: كسوتها بالحرير والديباج، رابعاً: الضيافة، أو الرفادة، خامساً: السدانة. وأوجه الشبه هذه بينها، وبين الكعبة تعني أن الحنفاء من (بني الحارث) أقاموا ضريح الشهداء على غرار (كعبة مكة المكرمة) وليست صورة طبق الأصل، ولكن قلدوها في نقاط عدة. (وياقوت الحموي) يورد إشارات محيرة عن كعبة (نجران) فتارة يقول: «يقال إنها بيعة بناها بنو عبد المدان الديانة الحارثي على بناء الكعبة وعظموها»[١٣٦] فلو كانت بيعة بمعنى كنيسة فلماذا تبنى على بناء الكعبة ولا تبنى على بناء الكنائس، مثلها مثل بقية الكنائس، أو البيع التي بنيت في اليمن؟! وذكر نقلاً عن (هشام بن الكلبي) أنها كانت قبة من أدم من ثلثمئة جلد. كان إذا جاءها خائف أمن، أو طالب حاجة قضيت، أو مسترفد أرفد. وكان لعظمتها عندهم يسمونها كعبة نجران[١٣٧]. أما (هشام) نفسه فيقول: كان لبني (الحارث بن كعب) كعبة بنجران يعظمونها، وهي التي ذكرها الأعشى.

وكعبة نجران حَتْمٌ عليكِ ... حتى تناخى بأبوابها

وقد زعموا أنها لم تكن كعبة عبادة، إنما كانت غرفة لأولئك القوم الذين

ذكرهم[١٣٨]؛ ومعنى ذلك أنها بنيت على غرار الكعبة في مكة تيمناً بها، وأنه لا لبس في الفهم كما أراد (عرفان شهيد) أن يوحي لنا بأنها كانت كنيسة، وضريحاً للشهداء، وأن العرب يجهلون شكل الكنائس، لذلك لم يتعرفوها. والأمور التي أوردها ليثبت أنها كنيسة أكدت على قوة الشبه بينها، وبين الكعبة في مكة المكرمة، وأنها – حتى من حيث البناء – بعيدة عن شكل الكنائس، وأن الكنائس معروفة في جنوب الجزيرة العربية، وأطلق عليها اسم بيعة، وباللغة السبئية (ق ل س ن)، وهذا الاسم أطلق على الكنيسة التي بناها (أبرهة) وسميت (القليس)؛ فلو كان البناء الذي سمي (كعبة نجران) هو كنيسة في واقعها؛ لوجدنا أن اسمها (بيعة) أو (قليس) أو (كنيسة) وليست (كعبة).

والدليل على معرفة العرب بيوت العبادة، والتفريق بينها؛ هو ما ورد في كتاب الأصنام: «وقد كان أبرهة الأشرم قد بنى بيتاً بصنعاء، كنيسة سماها القليس بالرخام وجيد الخشب المذهب»[١٣٩] وعلى الرغم من أن هدف أبرهة أن تحل هذه الكنيسة محل الكعبة في مكة المكرمة، فلم يبنها على غرار الكعبة كما فعل الأحباش، بل بناها على النموذج المسيحي في الشكل، والاسم، وغيره من الأمور التي تتبع في بناء الكنائس[١٤٠].

وهناك دليل من كتاب الحميريين على أن الشهداء الذين استشهدوا من النبلاء وأن شاباً اسمه (عبدالله عفو) Afu[١٤١]، وأن والده من كبار الشخصيات، وأن هذا الشاب طالب أن يسمحوا له بدفن النبلاء الذين قتلوا، فسمحوا له بذلك. وأن (عبدالله) استعان بأربعين رجلاً من أهله وأصدقائه. وأخذوا الموتى وقاموا بدفنهم. وقد ذكر الكتاب أسماء الشهداء. ومن الجدير بالملاحظة أن اسم (عبدالله) تكرر حوالي ٧ مرات، وأنه كان من بين الشهداء اسم (إبراهيم) واسم (خليل)، وأن اسم (خليل) حمله أكثر من شخص. وهذا يعني أن الجماعة النبلاء كان من بينهم الحنفاء الذين تسموا باسم (عبدالله) و(إبراهيم) و(خليل). والمعروف أن (إبراهيم عليه السلام) هو (خليل الله)؛

وذلك حسبما ورد في القرآن ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾(١٤٢).

ونخلص مما سبق إلى أن المؤمنين الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم مرتبطاً بأصحاب الأخدود، هم الحنفاء الذين كانوا على دين إبراهيم، والذين ثبت وجودهم في اليمن من خلال النقوش التي أعطت براهين، ودلالات قاطعة على انتشار عبادة التوحيد في اليمن، وأن الحنفاء تجاهلتهم المصادر المسيحية تماماً، وأغفلت ذكرهم، ومن الأسف فقد تبعها في ذلك الخط المصادر الإسلامية العربية التي استقت مادتها من المصادر السريانية، واليونانية المليئة بالأساطير عن المعجزات، والظواهر الطبيعية الخارقة لرجال الدين النصارى، والرهبان الذين قيل بأنهم شهداء مذبحة نجران، وأن المسيحية استمرت في نجران حتى أيام الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه(١٤٣).

وكل ذلك لا يمنع وجود ديانات أخرى إلى جانب الحنيفية في مجزرة نجران، وعلى رأسهم النصارى الذين أحرقوا في كنائسهم، وكذلك اليهود الذين أحرقوا الحنفاء، والنصارى على حد سواء.

والقول بأن جميع من حرقوا في نجران كانوا من النصارى إنما هو نوع من الدعاية التي قام بها رجال الدين المسيحيون؛ حيث أثبت البحث أن النصارى لم يكونوا الغالبية العظمى من السكان، وأن المسيحية انتشرت، ولكن بين أقلية من السكان، وكذلك اليهودية كان اتباعها الأقل عدداً، والغريب في الأمر أنه حتى الباحثون المحدثون يحاولون أن يفسروا أن الحنفاء هم الصابئة. وأكثر من ذلك فقد حاول بعضهم أن يهاجمها ويشك فيها، ويقول: إن هذه الكلمة لم تكن مستعملة قبل القرآن، وأنها وردت في المصادر الإسلامية؛ ليعطي انطباعاً أن أجداد (النبي محمد – صلى الله عليه وسلم) معد ومضر وإلياس وأسد بن خزيمة كانوا من أتباع الحنيفية؛ دين إبراهيم، وأن الروايات الإسلامية الدفاعية تود أن تقول: إن أجداد (محمد – صلى الله عليه وسلم) لم يعبدوا الأصنام، وأنهم جماعة من النبلاء والموحدين(١٤٤).

ومن جهة أخرى فإن القول بالأهداف الاقتصادية أورده رجال الدين

المسيحيون في المصادر التي تركوها بطريق غير مباشر؛ مما أوحى إلى الباحثين المحدثين أن يقحموا الجانب الاقتصادي في الموضوع، وأن يخلطوا الأسباب الاقتصادية بالأسباب الدينية، وأن يقولوا – كما أشرنا في مقدمة البحث – إن فهم الموضوع يكمن في فهم العلاقات التجارية بين بيزنطة، والحبشة من جهة، واليمن والفرس من جهة أخرى.

وإن كنا لا نشك في أن يهودياً يترفع عن الاستغلال المادي خصوصاً إذا عرفنا أن مدينة نجران مدينة تجارية قامت عند ملتقى الطرق البرية التجارية في جزيرة العرب، وأنها كانت وسيطاً تجارياً بين جنوب الجزيرة العربية، وبين دول البحر الأبيض المتوسط. وكما لا يخفى على قوم مثل اليهود أهمية تجارة المرور (ترانزيت) في ذلك الوقت؛ تلك التي اكتسبت أهمية كبيرة، وسادت فيها معاملات أساسها التبادل التجاري، والتعامل بالربا، وهو النشاط الاقتصادي الرئيس الذي اعتمدت عليه مدينة (نجران) وجعلها محط أطماع اليهود[١٤٥].

والتركيب الاجتماعي لسكان مدينة (نجران) ذلك الذي عكسته المصادر المسيحية لتلك الفترة متمثلاً في مخطوط استشهاد الحارث وكتاب الحميريين؛ يعطينا نموذجاً واضحاً لمدى الحالة الاقتصادية المزدهرة للمدينة في الوقت الذي حاصرها فيه الملك (ذو نواس).

والحالة المادية الأولى يدلنا عليها خروج (الحارث) بصحبة مئة وخمسين شخصاً من النبلاء، والوجهاء؛ ليتفاوضوا في أمر تسليم المدينة عندما حاصرها (ذو نواس)، وطالب بالفدية؛ وهي كل الذهب والفضة. وقد وافقوا على الذهب، والفضة؛ حتى لا تتعرض مدينتهم للدمار. وقد طلب (ذو نواس) فدية عن كل نفس؛ فاشتروا أنفسهم بثمن باهظ.

والنموذج الثاني (السيدة روما) التي كان لها ثروة متعددة الوجوه وتتكون من محاصيل أراضيها، وهي الملكيات الزراعية التي تقع في الريف، كما عملت بالربا

(القروض)؛ حيث ورد على لسانها أنها أقرضت معد يكرب الملك الحميري اثني عشر ألف دينار.

وكذلك (الحارث) أوصى بثروته الشخصية لأبنائه، وشطر من أفضل عقاراته للكنيسة.

وربما أراد الملك (ذو نواس) أن يحول تلك الجماعة الغنية إلى الدين اليهودي؛ حتى يتسنى لليهود التفوق العددي، والطبقة الاجتماعية المرموقة، والتحكم عن طريق السلطة في دخل المدينة الغنية الوفيرة الخير..

ولكن القرآن الكريم يحسم النقاش، ويؤكد أن الحرب كانت دينية بحتة، إذ يقول في نفس سورة البروج ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ﴿٨﴾﴾.

وكذلك النقوش ja. 1028 وRy508 تحدثت عن قتال، وحملات حربية قام بها الملك على العاصمة (ظفار)، والمدن الساحلية وعلى (نجران)، وذكرت حرق الكنائس، وحرق الكنائس في حد ذاته يعني أن الحرب دينية وليست سياسية، ولا اقتصادية.

الهوامش

١ – Christides, Navies, Islamic, in **Dictionary of Middle Ages**. vol. 9 1987 pp. 74-75.

٢ – Christides, **The Martyrdom of Arethas and the Aftermath**, in: Graeco Arabica, Vol. VII - VIII *1999-2000, Nicosia) p. 52.

٣ – V, Christides, **The Martyrdom of Arethas**, p. 52.

٤ – Procopius, **History of the wars**, trans. Into English by H.B. Dewing, (Harvard University press, 1979) Book 1. XX, 9 - 13.

٥ – D.G. Letsios, **Some Remarks on Reflections of Byzantine Foreign policy in the (Martyrdom) of Arethas and the (Acts) of Gregentius,** in: Graeco - Arabica (Athena, 1991) Vol. IV, p 141.

٦ – أبو إسحق إبراهيم بن عبدالله النجيري/**إيمان العرب في الجاهلية**، تحقيق فهمي الدين الخطيب القاهرة ١٩٦٢م، ص١٢ وما بعدها.

٧ – Renan, **Histoire General et System Compare des Langues Semitiques** (Paris, 1855) Vol. 1. p. 1 ff.

٨ – النقوش المشار إليها هي عبارة عن الكتابات المنحوتة على الصخر وسوف نعتمد بالدرجة الأولى على النقوش التي تم الكشف عنها في الخمسينات من القرن العشرين، وهي التي قام بدراستها البروفسور غونزاغور ركمانس G. Rychmans.

٩ – ديانة التوحيد: هو الإيمان بإله واحد لا شريك له منفرداً بذاته في عدم المثيل والنظير. ويطلق على التوحيد في اللغات الأوروبية Monotheism وهي كلمة مشتقة من أصل يوناني مركب من مقطعين Monos بمعنى واحد وTheos بمعنى إله وعكسها الشرك هو أن يجعل لله شريكاً في ربوبيته، وتعرف في اللغات الأوروبية Polytheism وهي كلمة يونانية مركبة من مقطعين الأول Polys ومعناها كثرة وتعداد وTheos ومعناها إله

فيكون المعنى الحرفي للكلمة تعدد الآلهة، وهذا هو الشرك، وهو نقيض التوحيد.

١٠ – نينا فكتورفنا بيغوليفسكيا، **العرب على حدود بيزنطة وإيران من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي**، ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم، الكويت ١٩٨٥م، ص١٩.

١١ – الإشارة إلى النقش Ry 534 عثر عليه في اليمن في ربده على الطريق المؤدي إلى عمران، وهو نصب أقامه ثلاثة أشخاص وفاء لنذر قطعوه على أنفسهم. انظر: نينافكتورفنا بيغوليفسكيا، **العرب على حدود**.. ص ١٦٣. إن النقوش المشار إليها في البحث هي النقوش الموجودة في الدراسة التي قام بها G. Rychmans وهي: Rychmans, G, **Inscription sud - Arabes**, Dixieme serie, Lu. Musean 66, 1953.

١٢ – A.F.L. Beeston, **The Religions of the pre - Islamic Yemen**, in: L'Arabie du Sud Histoire et civilisetin Tomi - (Paris, 1984) pp. 266 - 267.

١٣ – Jamme, A., **Sabaen and Hasaean Inscription from Saudi Arabia** (Studi Semitici 23) Rome 1966 pp. 39 - 55 Ja 1028.

١٤ – Ryckmans, Ry 507 - pp. 18 - 28.

١٥ – Ryckmans, Ry 508 - pp. 29 - 36.

١٦ – نقش من منطقة كوكب Ryckmans 513 وينسب إلى نفس الفترة الزمنية للنقش Ry 508.

١٧ – يوري ميخايلوفتش كوبيشانوف، **الشمال الإفريقي في العصور الوسيطة المبكرة وعلاقته بالجزيرة العربية من القرن السادس إلى منتصف القرن السابع**. ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم، (عمان ١٩٨٨م)، ص ٤٤ – ٤٥.

١٨ – A.F.L. Beeston, **The Religions**. pp. 268 - 18.
A.F.L. Beeston, **Himyarite**.. p. 151.

١٩ – A.F.L. Beeston, **Judaism and Christianity in pre-Islamic Yemen**, in: L’Arabie Du Sud Histoire et Civilisation; Tome 1. p.271.

٢٠ – نقلاً عن **The Book of the Himyarites, Fragments of a Hitherto Unknown Syriac Works,** with Introduction and Translation by A. Moberg (London, 1924) pLi.

٢١ – Beeston, **Judaism** p. 271.

٢٢ – Beeston, **Judaism** p. 273.

٢٣ – **Histoire nestorien Chronique de Seert** ed. A. Scher (Patrolgia Orientalis, 5) 1911, cha 73, 330 - 1.

٢٤ – Beeston, **Judaism**.. p. 276.

٢٥ – **The Book of the Himyarites**.. p. 1.

٢٦ – Beeston, **Judaism**.. p. 276.

٢٧ – الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، **تاريخ الرسل والملوك**، مكتبة خياط (بيروت) ج٢ ص ١١٩ – ١٢٢. أيضاً المسعودي، أبو الحسن بن علي بن الحسن (ت ٣٤٦هـ) **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ج٢ ص٨، طبعة بولاق ١٢٣٨هـ، أيضاً: اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب (ت ٢٨٤هـ)، دار اليعقوبي، بيروت للطباعة ص ١٩٨ – ١٩٩.

٢٨ – لتفاصيل أكثر عن الرهبان انظر: **آباء الكنيسة القبطية**، بستان الرهبان، لجنة التحرير والنشر بمطرانية بني سويف: بدون تاريخ، ط٧، ص٤٥٨ – ٤٥٩.

٢٩ – حسن إبراهيم حسن، **تاريخ الإسلام**، مكتبة النهضة، ط٧، مصر ١٩٦٤، ج١، ص ٥٠٤.

٣٠ – Beeston, **Judaism**.. p. 273.

٣١ – Beeston, **Judaism** p. 273.

٣٢ – Beeston, **Himyarite Monotheism**.. p151 - 153.

٣٣ – A. Moberg, **The Book of The Himyarites** Lii.

٣٤ – Irfan Shaid, **Byzantium in South Arabia, in:** Byzantium and the Semitic Orient before the Rise of Islam variorum Reprints (London, 1988) p. 45.

٣٥ – Beeston, **Judaism**.. p. 277.
Jacques Ryckmans, Le **Christianism, En Arabie Du sud pre Islamique**, p. 416 FF.

٣٦ – The **Book of The Himyarites** - P. xxxix.

المصادر العربية، وهب بن منيه، كتاب **التيجان في ملوك حمير**، الطبعة الأولى ١٣٤٧هـ، تحقيق ونشر مركز الدراسات والأبحاث اليمنية – الجمهورية العربية اليمنية – صنعاء ص ٣١٢، أطلق عليه اسم زرعه ذو نواس بن تبان أسعد، أيضاً: الطبري، **تاريخ الطبري** ج٢ ص١١٨ ينقل نفس الاسم زرعه، وأنه لمّا تهود سمّي يوسف، وهو الذي خدّ الأخدود وقتل النصارى.

٣٧ – يوري ميخايلوفتش كوينشانوف، **الشمال الشرقي الإفريقي** – ص ٣٣ – ٣٥.

٣٨ – المرجع السابق، ص ٣٥.

٣٩ – Ryckmans, Ry 508. pp. 29 - 36.
Ryckmans, Ry 507. pp. 18 - 28.

٤٠ – Jamme - Ja. 1028 pp. 39 - 55.

٤١ – Ryckmans, Ry 508. pp. 29 - 36.

٤٢ – Irfan Shahid, **The Martyrs of Najran New Documents,** Sociéte Des (Bollandistes, Brussels 1971) p. 19.

٤٣ – A. Moberg, **the Book of the Himyarites** p. 1 xv.

٤٤ – يوري ميخايلوفتش كرينشانوف، **الشمال الشرقي الأفريقي** ص ٥٣ – ٥٤.
لمعرفة تفاصيل أكثر عن ما ورد في نفس الرسالة انظر

La lettera di Simeone vescovo di Beth - Arsam sopra imartiri Omeriti, pubblicata Ltradotta dal socio. Guidi, Memoria letta

Nello seduta del 24 April 1881. Atti Accademia deilincei scienre Moroli, Ser. 3, Morie 7 1880 - 1881. Vol - vii. p. 498.

ومن الجدير بالملاحظة أن الرسالة تطلق اسم تونجان اوطوناجان على الملك اليهودي – وهو يذكر حرق الكهنة والرهبان والراهبات في أتون النار يحدد عددهم بأربعمئة وسبعة وعشرين نفساً. ولكنه لا يذكر حرق الكنائس.

٤٥ – Irfan Shahid. **The Martyrs**, p. 169.

٤٦ – A. Moberg, **The book of the Himyarites** p. lxii.

٤٧ – يوري ميخايلوفتش كريتشانوف، **الشمال الشرقي الإفريقي** ص٥٤.

٤٨ – **مخطوط (استشهاد الحارث)** إحدى مؤلفات حياة القديسين المشهورة في الأدب المسيحي، ومهمة مؤلفي حياة القديسين تثقيف وتهذيب ديني وتعليم روحي، وذلك من خلال إبراز المعجزات والظواهر الخارقة للطبيعة التي تمزج مع الأحداث التاريخية والأوصاف الطوبوغرافية وانعكاس التركيبات الاجتماعية. وبالنظر لطبيعة هذا النوع من الدراسات فإن بعض الباحثين يبعدون هذا من المصادر للاعتماد عليها بدون تردد والبعض الآخر يبذل فيها مجهوداً كبيراً لمحاولة إثبات أو إنكار بعض الأمور أو حتى بعض القديسين.
لتفاصيل أكثر انظر:

V. Christides, Some **Hagiographical Works (Greek, Latin, Arabic and Ethiopic) as a Source for the Study of Navigation and Sea Trade in the Red sea, the Persian Gulf and the Indian Ocean in Pre-Islamic Times**. JSAI 21 (1997) p. 62.

انظر أيضاً مخطوط **(استشهاد الحارث)** يوجد في مجموعة المخطوطات رقم ٤٢٨ و٤٤٣ و٤٦٩ و٥٣٥ والمخطوط رقم ٤٤٣ أفضل المخطوطات المشار إليها، ويحمل تاريخ تدوينها ١٢٧٨م ونصها هو الأقرب إلى الرواية اليونانية **(استشهاد الحارث)** ومن المؤكد أنها نقلت عن اللغة

اليونانية والأصل اليوناني نشر في ترجمة اللاتينية مصحوبة بمقدمة وهوامش وافرة وقام بتقديمه:

E. Carpentiev, **Acta San ctoum**, October, 1866 pp. 721 - 759.

للاطلاع عل نص المخطوطة ٤٤٣ انظر يوري ميخانلوفتش كوبيشانوف، **الشمال الإفريقي** ص٣٤٠ وما يليها.

٤٩ – V. Christides, **The Martyrdom of Arethas and the Aftermath** in: Graeco - Arabica Nicosia, 30 April - 5 May 1996 vols VII - VIII, 1999 - 2000 p. 56.

٥٠ – **Cosmas Indicople ustes topographie chretienne**, ed. and trans by Warda Wolska - Conus, 11 (1970).

٥١ – John Bishop of Ephosus, **The third Part of the Ecclesiastic History of John of Ephesus** ed, trans R. Payesmith (Oxford, 1860) p. 79 procopius. History of wars, I. xx. 9 - 13.

٥٢ – A. Moberg **the Book of the Himyarites**.. p. xli.

٥٣ – Christides, **the Martyrdom of Arethas** p. 64.

٥٤ – مخطوط **(استشهاد الحارث)** النسخة العربية ص ٤٤٣–٣٤٩ في كتاب **الشمال الشرقي الإفريقي**. الكا Elka هي العملة الحميرية المستخدمة في ذلك الوقت.

٥٥ – مخطوط **(استشهاد الحارث)**، النسخة العربية ص٣٤٩ – ص ٣٧٩.

٥٦ – المرجع السابق، ص ٣٤٩ – ص ٣٧٩.

٥٧ – A. Moberg, **the Book of the Himyarites** p. 1xvii.

٥٨ – Irfan Shahid, **the Martyrs,** p. 169.

٥٩ – A. Moberg, **the Book of the Himyarites**, xlviii.

٦٠ – **Nestorian Chronicle from Saard**. by Addai Scher, Partrologia Orientalist vol. iv, v and VII parts p. 218.

٦١ – Moberg, **the Book of the Himyarites** p Lii.

٦٢ – Moberg, **the Book of the Himyarites** p. Liv.

٦٣ – البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ)، **فتوح البلدان** – دار مكتبة الهلال – بيروت – بدون تاريخ – ص٧٦.

٦٤ – المرجع السابق، ص ٧٧–٧٨.

٦٥ – A. Moberg, **the Book of the Himyarites** p. Lii.

٦٦ – Irfan Shahid, **Byzantium**. p. 30.

٦٧ – **The Acts of Gregentius.**

أول من كشف اللثام عنها الباحث الروسي فازيلييف في مقالته التي كتبها باللغة الروسية.

The life of St Gregentius, Homerite Bishop, viz vremennir, 14 (1907).

وأما القوانين فقد نشرها

Law of St Gregentius ed, by H. fr. Boissonade in Anecodote Greaca, VC (Paris, 1833) **The Dialoque** ed. by Gulon (Paris 1586).

٦٨ – V. Christides, **The Himyarite - Ethiopian War, and the Ethiopian Occupation of South Arabia in the Acts of Gregentius (ca 530 A.D.)** in: Annales D'Ethiopie (1972) p. 122.

٦٩ – V. Christides, **The Himyarite**.. p. 119.

٧٠ – V. Christides, **The Himyarite**.. p. 120.

٧١ – V. Christides, **The Himyarite**.. p. 125.

٧٢ – القرآن الكريم – **سورة البروج**، الآيات من ٤–٧.

٧٣ – نبوخذ نصر (٦٠٥ – ٥٦٢ ق.م)، ملك بابل، خرب أورشليم وحرق اليهود.

٧٤ – V. Christides, **The Himyarite**.. p. 126.

٧٥ – ونجران مدينة قوافل رئيسية في جنوب غرب الجزيرة العربية، ووسيط تجاري بين جنوب الجزيرة وبين البحر المتوسط، وتذكر المصادر العربية

أنها سميت نجران على اسم نجران بن زيد بن سبأ بن يشحب بن يعرب ابن قحطان. ويذكر اليعقوبي أن نجران كانت مستقراً لبني الحارث بن كعب، وقيل كان بها أصحاب الأخدود. لتفاصيل أكثر انظر:

Oxford Dictionary of Byzantium vol 2 p. 1434. –

– أيضاً ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، دار إحياء التراث العربية، بيروت، بدون تاريخ، ج٥، ص٢٦٦.

– أيضاً: الحميري، **كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار**، مكتبة لبنان، تحقيق إحسان عباس، بيروت ١٩٧٥، ص٧٣.

٧٦ – ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٥، ص٢٦٧.

٧٧ – مخطوط (**استشهاد الحارث**) النسخة العربية ص٣٤٥.

٧٨ – القرآن الكريم، **سورة البروج**، الآيات من ٤ – ٨.

٧٩ – الطبري، أبو جعفر بن جرير (ت ٣١) **جامع البيان عن تأويل القرآن**، مطبعة الصفطي البابي الحلبي ط٣، مصر ١٩٦٨م، ج٣٠، ص ١٢٧ – ١٣٦.

٨٠ – حسن إبراهيم حسن، **تاريخ الإسلام**، ج٢، ص٣٢٥ – ٣٢٧.

٨١ – جولد تسهر: **المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن**، ص٨٥ – ٨٦.

٨٢ – شاكر مصطفى، **التاريخ العربي والمؤرخون**، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٣، ج١، ص ٢٥٢ – ٢٦٢.

٨٣ – الزمخشري، جار الله القاسم محمد بن عمر بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي المالكي (٤٦٧ – ٥٣٨هـ) **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، دار الكتاب العربي – بيروت، ج٤، ص ٢٣٧ – ٢٣٩.

٨٤ – الشيخ أبو علي الفضل بن حسن الطبرسي (من علماء القرن السادس)، **مجمع البيان في تفسير القرآن**، دار مكتبة الحياة، بيروت، بدون تاريخ، ج٢٦، ص٨٨.

٨٥ – ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل (ت ٧٧٤هـ) **تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير**، ج٤، ص٣٧٣ – ٣٧٥.

٨٦ – الألوسي البغدادي، شهاب الدين السيد محمود (ت ١٢٧٨هـ) **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، دار الفكر، بيروت ١٩٨٣م، ج٢٨، ص ١١٢ – ١١٣.

٨٧ – عمرو بن هند بن المنذر اللخمي وهند الكندية، ملك الحيرة ٥٥٤ – ٥٧٤م كان قاسياً شرس الأخلاق فلقبوه (مضرط الحجارة) ومحرق.

٨٨ – الألوسي، **روح المعاني**، ج٢٨، ص ١١٢ – ١١٣.

٨٩ – سيد قطب، **في ظلال القرآن** – دار الشروق، ص ٣٧٨١ – ٣٨٧٢.

٩٠ – ياقوت الحموي – **معجم البلدان**، ج٥، ص ٢٦٨.

٩١ – A. Moberg, **The Book of the Himyarites**. p. xliii.

٩٢ – A. Moberg, **The Book of the Himyarites**, p. xlv.

٩٣ – A. Moberg, **The Book of**... pxiv.

٩٤ – ابن منظور، **لسان العرب**، دار الفكر (بيروت بدون تاريخ)، ج١٣، ص ٢٣ – ٢٤.

٩٥ – القرآن الكريم، **سورة الحديد**، آية ١٩.

٩٦ – ابن منظور، **لسان العرب**، ج١٣، ص ٢٤.

٩٧ – المرجع السابق، ج١٣، ص٢٤.

٩٨ – المرجع السابق، ج٩، ص ٥٦ – ٥٩.

لتفاصيل أكثر عن الحنيفية انظر:

Uri Rubin, **Hanifiyya and ka'ba: an Enquiry into the Arabian, pre-Islamic Background of Din Ibrahim**. In: The Arabs and Arabia on the Eve of Islam vol 3 p. 267 ff.

أيضاً:

Hamilton A.R. Gibb, **Pre-Islamic Monotheism in Arabia,** in: The Arabs and Arabia on the Eve of Islam, vol 3, p. 295 ff.

أيضاً:

محمد على مختار: **الحنيفية والحنفاء في دراسات تاريخ الجزيرة العربية** الكتاب الثاني مطابع جامعة الملك سعود، الرياض ١٤٠٤هـ، ص١٦٥ وما بعدها.

أيضاً:

علي حسني الخربوطلي، **الحنيفية والحنفاء منذ عهد إبراهيم حتى ظهور الإسلام**، ١٩٧٤، ص ٧ – ١٢.

٩٩ – Hamilton A.R. Gibb, **pre-Islamic**.. p. 271 Beeston, **Judaism**, pp. 277 - 278.

١٠٠ – القرآن الكريم، **سورة البقرة**، آية ١٣٥.

١٠١ – القرآن الكريم، **سورة آل عمران**، آية ٦٧.

١٠٢ – القرآن الكريم، **سورة آل عمران**، آية ٩٥.

١٠٣ – القرآن الكريم، **سورة النساء**، آية ١٢٥.

١٠٤ – القرآن الكريم، **سورة الأنعام**، آية ٧٩.

١٠٥ – القرآن الكريم، **سورة الأنعام**، آية ١٦١.

١٠٦ – القرآن الكريم، **سورة يونس**، آية ١٠٥.

١٠٧ – القرآن الكريم، **سورة النحل**، آية ١٢٠.

١٠٨ – القرآن الكريم، **سورة النحل**، آية ١٢٣.

١٠٩ – القرآن الكريم، **سورة الروم**، آية ٣٠.

١١٠ – القرآن الكريم، **سورة الحج**، آية ٣١.

١١١ – القرآن الكريم، **سورة البينة**، آية ٥.

١١٢ – القرآن الكريم، **سورة الحج**، آية ١٧.

١١٣ – جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، دار العلم للملايين، ط٢، بيروت ١٩٧٧م، ج٦، ص٤٥٤.

١١٤ - Arthur Jeffery, the **Foreign Vocabulary of the Quran** (Baroda, 1938) pp. 112 - 115.

١١٥ - J.A. Montgomery, **Ascetic Strains in Early Judaism**. J.B.L. vol 21 (1932) p. 183.

١١٦ - Hamilton Gibb, **Pre-Islamic**.. pp. 297 - 298.

١١٧ - القرآن الكريم، **سورة النجم**، الآيات ٣٣ - ٥٦.

١١٨ - القرآن الكريم، **سورة الرحمن**، الآيات من ١ - ٧٨.

١١٩ - Hamilton Gibb, **Pre-Islamic**.. pp. 298 - 303.

١٢٠ - جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب**، ج٦، ص ٤٥٤.
Arthur Jeffery, **the Foreign**, pp112 - 115.

١٢١ - المسعودي، (٩٥٧م - ٢٤٦هـ ت) **التنبيه والإشراف**، مكتبة الهلال، بيروت ١٩٨١، ص١٢٢.

١٢٢ - المسعودي، **مروج الذهب**، دار الأندلس، بيروت (بدون تاريخ)، ج١، ص٨١.

١٢٣ - الطبرسي، **مجمع البيان**، ج٩، ص٦٤.

ابن هشام، أبو محمد عبدالملك (ت ٢١٣هـ)، **سيرة النبي - صلى الله عليه وسلم** - إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - الرياض، ج١، ص٣٠-٣٥، الطبري، **تاريخ الطبري**، ج٢، ص١٢.

١٢٤ - Beeston, **The Religion**.. p. 267.

١٢٥ - القرآن الكريم، **سورة المائدة**، آية ٧٣.

١٢٦ - القرآن الكريم، **سورة المائدة**، آية ٧٢.

١٢٧ - القرآن الكريم، **سورة النساء**، آية ١٧١.

١٢٨ - القرآن الكريم، **سورة المائدة**، آية ١١٦.

١٢٩ - A. Moberg, **The Book of the Himyarites** p. Liii.

١٣٠ - مخطوط **استشهاد الحارث** ص ٣٥٦.

١٣١ – Philip Hitti, **History of Arabs**, Tenth edition, 1990. p. 62.

١٣٢ – Irfan Shahid **Byzantium**, p. 70.

١٣٣ – Irfan Shahid **Byzantium**, p. 89.

١٣٤ – Irfan Shahid **Byzantium**, pp. 70 - 72.

١٣٥ – Irfan Shahid **Byzantium**, pp. 72 - 74.

١٣٦ – Irfan Shahid, **Byzantiun**, pp. 72 - 74.

١٣٧ – ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٥، ص٢٦٨.

١٣٨ – المرجع السابق، ج٥، ص٢٦٨.

١٣٩ – أبو المنذر، هشام بن محمد بن السائب الكلبي، كتاب **الأصنام**، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة – بدون تاريخ، ص٤٤ – ٤٥.

١٤٠ – المرجع السابق، **كتاب الأصنام**، ص ٤٦ – ٤٧.

انظر أيضاً .Philip Hitt, **History of the Arabs** p. 22

الذي يصف كنيسة صنعاء بأنها كانت كاتدرائية عظيمة بل واحدة من أعظم الكاتدرائيات في ذلك العصر.

١٤١ – ربما يكون اسم والده ينوف، وهو من الأسماء الدارجة في اليمن في ذلك الوقت، فقد ورد ذكر اسم لخيعه بن نيوف في كتاب التيجان، ص ٣١٠ و٣١١.

١٤٢ – القرآن الكريم، **سورة النساء**، آية ١٢٥.

١٤٣ – ترحيل أهالي نجران عنها بسبب تعاملهم بالربا – انظر البلاذري – **فتوح البلدان**، ص٧٧.

١٤٤ – Uri Rubin, **Hanifiyya** p. 267.

١٤٥ – لتفاصيل أكثر انظر مخطوط **استشهاد الحارث** طلب الفدية ودفع الفدية ص٣٥٠ – ٣٥١ ص ٣٨١، ثروة الحارث، ص ٣٨١ روما ص ٣٦٧.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع العربية والمعربة

١ – **القرآن الكريم.**

٢ – آباء الكنيسة القبطية، بستان الرهبان، لجنة التحرير والنشر (بني سويف – بدون تاريخ).

٣ – ابن كثير، أبو الفدا إسماعيل (ت ٥٧٧٤) **تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير.**

٤ – ابن منظور، **لسان العرب**، دار الفكر (بيروت بدون تاريخ).

٥ – أبو إسحق إبراهيم بن عبدالله النجيري الكاتب، **إيمان العرب في الجاهلية** – تحقيق فهمي الدين الخطيب، القاهرة ١٩٦٢م.

٦ – أبو المنذر هشام بن محمد السائب الكلبي، **كتاب الأصنام**، الدار القومية للطباعة والنشر (القاهرة – بدون تاريخ).

٧ – الألوسي البغدادي، شهادب الدين السيد محمود (ت ١٢٧٨هـ) **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، والسبع المثاني**، دار الفكر (بيروت ١٩٨٣م).

٨ – البلاذري. أحمدبن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ) **فتوح البلدان.** دار مكتبة الهلال (بيروت بدون تاريخ).

٩ – جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، دار العلم للملايين، ط٢، (بيروت ١٩٧٧م).

١٠ – حسن إبراهيم حسن، **تاريخ الإسلام**، مكتبة النهضة ط٧، القاهرة ١٩٦٤م.

١١ – الحميري – **الروض المعطار في خير الأقطار** – مكتبة لبنان تحقيق إحسان عباس، بيروت ١٩٧٥.

١٢ – الزمخشري، جار الله القاسم محمد بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي المالكي (٤٦٧–٥٣٨) – **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** – دار الكتاب العربي (بيروت بدون تاريخ).

١٣ – سيد قطب، **في ظلال القرآن** دار الشروق (جدة – بدون تاريخ).

١٤ – شاكر مصطفى. **التاريخ العربي والمؤرخون**، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٣م.

١٥ – الطبرسي، الشيخ أبو علي الفضل بن حسن (من علماء القرن السادس الهجري) **مجمع البيان في تفسير القرآن** – دار مكتبة الحياة (بيروت – بدون تاريخ).

١٦ – الطبري، محمد بن جعفر بن جرير (ت ٣١٠) **تاريخ الرسل والملوك**، مكتبة خياط (بيروت – بدون تاريخ).

ـــ الطبري، محمد بن جعفر بن جرير (ت ٣١٠) **جامع البيان عن تأويل القرآن**،

مطبعة الحلبي، القاهرة ١٩٦٨م.

١٧ – علي حسن الخربوطلي، **الحنيفية والحنفاء منذ عهد إبراهيم حتى ظهور الإسلام**، القاهرة ١٩٧٤م.

١٨ – محمد علي مختار – **الحنيفية والحنفاء** – في: دراسات تاريخ الجزيرة العربية – مطابع جامعة الملك سعود – الرياض (١٤٠٤هـ).

١٩ – مخطوط **استشهاد الحارث**، النسخة العربية – مجموعة المخطوطات رقم ٤٢٨، ٣٣٤، ٤٦٩، ٥٣٥ – مكتبة القديسة كاثرين – سينا.

٢٠ – المسعودي أبو الحسن بن علي بن الحسن (ت ٣٤٦) **التنبيه والإشراف** – مكتبة الهلال، بيروت ١٩٨١م.

ـــ **مروج الذهب ومعادن الجوهر** – طبعة بولاق، مصر ١٢٣٨هـ.

٢١ – نينا فيكتور فتابيقو ليفسكيتا، **العرب على حدود بيزنطة وإيران**، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، الكويت ١٩٨٥م.

٢٢ – وهب بن منبه، **كتاب التيجان في ملوك حمير**، تحقيق ونشر مركز الدراسات والأبحاث اليمنية – ١٣٤٧هـ – الجمهورية العربية اليمنية.

٢٣ – ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، دار إحياء التراث العربية (بيروت – بدون تاريخ).

٢٤ – يوري ميخايلوفتش كوبيثانوف، **الشمال الإفريقي في العصور الوسطى المبكرة وعلاقته بالجزيرة العربية من القرن السادس إلى منتصف القرن السابع** – ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، عمان ١٩٨٨م.

المصادر والمراجع الأجنبية:

1 - A.F.L. Beeston, **The Religions of Pre-Islamic Yemen**, in: L'Arabie du Sud, Histoire et Civilisations, Paris, 1984.

2 - A.F.L. Beeston, **Judaism and Christianity in Pre-Islamic Yemen**, in: L'Arabie du Sud, Histoire et Civilisations.

3 - A. Jamme, **Sabean and Hasaen Inscription from Saudi Arabia**, in: Study Semitic, 23, Rome, 1466.

4 - A.R. Hamilton Gibb, **Pre-Islamic Monotheism in Arabia**, in: The Arabs and Arabia on the Eve of Islam, vol. 3, 1999.

5 - **The Book of the Himyarites. Fragments of a Hitherto Unknown Syriac Work**, with Introduction and Translation by: Moberg Lund, 1924.

6 - **Cosmas Indicoleuster Topographie**, ed. trans. by Warda Wolsk.

7 - D.G. Letsios, **Some Remarks on Reflections of Byzantine Foreign Policy in the Martyrdom of Arethas and the Acts of Gregentius**, in: Greco Arabica, (Athens, 1991) vol. iv.

8 - G. Reckmans, **Inscription sud Arabs**, dixieme serie, lu. musean, 66, (1953).

9 - **Historie Nestorienne Chronique De seert,** ed. by A. Scher, in: Partologia Orientalis (1991).

10 - Irfan Shahid. **The Martyrs of Najran: New Documents**, Societe des bollandistes (Brussels, 1971).

11 - Irfan Shahid, **Byzantium in South Arabia** in: Byzantium and the Semitic Orient before the Rise of Islam, Variorum reprints (London, 1988).

12 - Jeffrey Arthur, **The Foreign Vocabulary of the Quran**, (Baroda, 1938).

13 - John Bishop of Ephosus, **the third part of the Ecclesiastic History of John of Ephesus**, ed, trans. by: R. Pysmith (Oxford, 1860).

14 - **The life of St. Gregintius**, Hemiarate Bishop viz vremenir, 14, (1907).

15 - **Laws of St. Gregentius**, ed. by H. F. boissonade in: Anecodot Greca vc. (Paris, 1833).

16 - **Nestorian chronicle from Saard**, ed. by A. sches, in: patrologia orientalism vol iv.

17 - **La Lettera di Simeane vescovo di Beth arsam sopra inaritri omesiti**, publicate ltradotta dal socio, goidi, memoria accademia deilin cei sceienne moroli ser 3 morie 7/8880-1880-1881, vol. vii.

18 - Procopious, **History of wars**, trans. into English by: H. B. Dewing (Harvard University Press, 1979).

19 - E. Renan, **Histoire General et System Compare des Langues Semitiques** (Paris, 1955) vol. 1.

20 - **Oxford Dictionary of Byzantine**, vol. 1.

21 - V. christides, **The Martyrdom of Arethas and the Aftermath**, in: Graeca Arabica, vol. VII (Nicosia, 1999-2000).

22 - V. Christides, **The Hemiarite - Ethiopian War and the Ethiopian Occupation of South Arabia in the Acts of Gregentius,** in: Annals D'ethupie (1972).

23 - V. Christides, **Some Hagiographical Works (Greek, Latin, Arabic and Ethiopic) as a Source for the Study of Navigation and Sea Trade in the Red Sea, the Persian Gulf, and the Indian Ocean in pre-Islamic Times.** J.S.A.I. 21 (1997).